الدكتور كمال مظهر أحمد

دور الشعب الكردي
في
ثورة العشرين العراقية



تاليف

الدكتور كمال مظهر أحمد

مطبعة الحوادث

بغداد ـ ١٩٧٨

المقدمـة

لم يحظ حتى اليـوم حـدث في تأريـخ العـراق المعـاصر باهتمام المؤرخين والكتاب العراقيين ، وغيرهم ، مثلما حظيت « ثورة العشرين »(١) • فقد كرس المؤلفون العراقيون العديد من الكتب

---

(١) لاينطبق مفهوم الثورة علميا على الاحداث التي شهدتها الساحة العراقية في صيف العـام ١٩٢٠ • فالثورة لابـد لهـا من ان تستهدف احداث تغيير جذري في القاعدة والقمة ، أو تؤدي اليه، كأن تؤدي اقتصاديا الى تغيير العلاقات الاقطاعية باخرى راسمالية وتفضـي سـياسيا الى انتقـال السلطـة مـن الاقطاعيين الى البورجوازيين ، مما يشكل طفرة نوعية كبيرة الى أمام • والثورة الفرنسية الكبرى نموذج مثالي لهذا النوع من التحول •واحيانا تشكل حركة ما ، بالرغم من أهميتهـا وسعـة نطاقهـا وعمـق نتائجها وجسامة ضحاياها ونبل اهدافها ، مجرد انتفاضـة جماهيرية ، او حركة تحررية موجهة ضد مستعبد اجنبي ، وهي لاتقل اهمية عن الثورة ، بل تشكل في اغلب الاحيان مقدمـة ضرورية لثورة لاحقة ، الا اننا لانستطيع وصفهـا بالثـورة اذا توخينا الدقة العلمية• وان ماحدث في العام ١٩٢٠ نموذج لهذا النوع من التحرك الجماهيري الذي يصفه الغربيون بالتمرد ، بينما اختارت له الجماهير العراقية اسم «ثورة العشرين»• وقد غدت الاخيرة مصطلحا متداولا على الالسن وفي جميع المؤلفـات العراقية تقريبا ، فيكون استخدامنا لها نابعا عن هذا الواقع •

والبحوث لدراسة أهم الجوانب السياسية لهذه الثـورة (٢) • كما نشر عدد من المشاركين فيها أو ممن عاصروها مذكراتهم التي تناولت بدورها جوانب معينة من احداثها (٣) • وفي السنوات الاخيرة جاء دور معالجة قضايا محددة تخص جانبا واحدا من جوانب الثورة من قبيل « صحافة ثورة العشرين » (٤) و « البطولة في ثورة العشرين »(٥) و « ثورة العشرين في الشعر العراقي » (٦) وما شابه تلك من مواضيع •

ومع ان جميع هؤلاء ، وغيرهم من المؤلفين العراقيين، بذلوا جهودا قيمة لتقديم صورة واضحة الى حد كبير عن أحداث «ثورة

---

(٢) على سبيل المثال : عبدالرزاق الحسني ، الثـورة العراقيـة الكبرى ، الطبعة الثالثة الموسعة ، صيدا ، ١٩٧٢ ؛ الدكتـور عبدالله الفياض ، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ ، الطبعة الثانية ، بغداد ، ١٩٧٤ ؛ الدكتورعلي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، الجزء الخامس ، القسم الاول ، بغداد ، ١٩٧٧ ، القسم الثاني ، بغداد ، ١٩٧٨ •

(٣) على سبيل المثال : علي آل بازركان ، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية . بغداد ، ١٩٥٤ ؛ محمد مهدي البصير ، تاريخ القضية العراقية ، بغداد ، ١٩٢٣ ؛ فريق المزهر آل فرعون ، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ، بغداد ، ١٩٥٢ •

(٤) راجع : يعقوب يوسف كوريا ، صحافة ثورة العشرين ، بغداد ، ١٩٧٠ •

(٥) راجع : عبدالشهيد الياسري ، البطولة في ثـورة العشريـن ، النجف ، ١٩٦٦ (٣٦٠ صفحة) •

(٦) ابراهيم الوائلي ، ثورة العشرين في الشعر العراقي ، بغداد ؛ ١٩٦٨ (١٩٠ صفحة) •

العشرين » ، فان ماقالته جريدة «الاهالي» البغدادية بمناسبة صدور كتابين عن الثورة في العام ١٩٥٢ لايزال يحتفظ بجانب غير قليل من قوته . فقد كتبت تقول : « اننا بحاجة ماسة الى مؤرخ يتمتع بتفكير سياسي واحساس تأريخي يجعلانه ينظر الى الثورة العراقية نظرة العالم الى الظاهرة الطبيعية ، يخضعها لمنهج علمي واضح »(٧) . والواقع اننا نلاحظ تحيزا ملموسا في بعض الدراسات (٨) ، وسطحية واضحة في بعض اخر منها ، وتأكيدا على جوانب من العوامل التي هيأت ظروفا موضوعية لانفجار الثورة مع تجاهل مطلق للعديد من العوامل المهمة الاخرى ، في قسم ثالث من تلك الدراسات ، كما حاول البعض شد القاريء الى ماكتب عن الثورة برواية الطريف له من الاحداث . وفي ذلك يكمن أحد الاسباب الرئيسة لما تثيره كل اصدارة جديدة عن «ثورة العشرين» من جدل ومناقشات مسهبة(٩) .

---

(٧) «الاهالي» ، بغداد ، ٢٧ حزيران ١٩٥٢ .

(٨) من الجدير بالذكر ان بعض المؤلفات عن «ثورة العشرين» ظهرت بدافع الرد على اراء وردت في كتب لمؤلفين آخرين بصدد أحداث الثورة .

(٩) خير دليل على ذلك ما أثاره صدور الجزء الخامس بقسميه من كتاب الدكتور علي الوردي الذي تصدى لمناقشته عدد كبير من الكتاب سواء على صفحات الجرائد والمجلات ، أو على شكل كتب مستقلة (على سبيل المثال : مقال الاستاذ عزيز السيد جاسم ، ـ «الجمهورية» ، بغداد ، ٣٠ اب ١٩٧٧ ؛ الدكتور سليم علي الوردي ، علم الاجتماع بين الموضوعية والوضعية. مناقشة لمنهج الدكتور علي الوردي في دراسة المجتمع العراقي.

=

مع ذلك فان المؤرخين العراقيين دشنوا بداية جديرة لدراسة « ثورة العشرين » ، مما يسهل حتما مهمة من يتصدى لمعالجة أي جانب من جوانب الموضوع نفسه في المستقبل •

تحتل « ثورة العشرين » ، في الوقت نفسه ، مكانة بارزة في جميع الدراسات الاجنبية المكرسة للبحث عن تاريخ العراق الحديث والمعاصر ، كما اختيرت موضوعا لرسالة علمية لنيل شهادة الدكتوراه على صعيد الاستشراق (١٠) •وقد كتب عنها أبرز المسؤولين الانكليز الذين كان لهم دورهم في خلق الاسباب التي أدت الى اندلاع

=

بغداد ، ١٩٧٨ ؛ ستار جبر ناصر ، هوامش على كتاب علي الوردي لمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث الجزء الخامس ، بغداد ، ١٩٧٨) • وقد عالج عدد من المؤلفين الكتاب الذي أصدرناه بعنوان «ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي» على صفحات جريدتي «طريق الشعب» و «العراق» ومجلات «الثقافة الجديدة» و «الخليج العربي» و « صوت الاتحاد » و «بين النهرين» •

(١٠) نقصد بها الرسالة التي تقدم بها ل• ن• كاتلوف الى معهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية بعنوان : « انتفاضة ١٩٢٠ الوطنية ـ التحررية في العراق » والتي نشرت بعد الدفاع عنها في كتاب مستقل (موسكو ، ١٩٥٨) •وقد قام الدكتور عبدالواحد كرم بتعريب الكتاب ونشره تحت عنوان «ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق» (الطبعة الاولى : بغداد ، ١٩٧١ ، الطبعة الثانية : بيروت ، ١٩٧٥) •

الثورة (١١) أو في قمعها (١٢) ٠

وبالرغم من كل ذلك فان صفحات مهمة من «ثورة العشرين» تبقى تنتظر البحث الجدي الذي لابد منه حتى تستكمل أبعاد صورتها٠ ويأتي دور الكرد في الثورة على رأس المواضيع التي يجب معالجتها (١٣) لا من حيث مدى الاشتراك الفعلي لجزء مهم من أبناء الشعب العراقي في أحداث الثورة نفسها فقط ، بل كذلك من منطلق دوره الواضح في العملية الثورية التي اجتاحت مناطق مختلفة من العراق مع انتهاء الحرب العالمية الاولى ، أي عشية الثورة ، ومن حيث توفر أمثلة حية عن واقع المناطق الكردية اثر الاحتلال البريطاني بامكانها اضفاء بعد جديد على أهم عوامل استياء الشعب العراقي ككل ٠ وأخيرا فان توضيح الاشتراك الفعلي للاكراد في

---

(١١) على سبيل المثال الجزء الثاني من كتاب وكيل الحاكم المدني العام ارنولد ولسن الذي يحتوي على معلومات مهمة ٠

(A. T. Wilson, Mesopotamia 1917—1920. A clach of loyalities, London, 1931).

(١٢) مثلا كتاب هالدين الذي كان قائدا عاما للقوات البريطانية العاملة في العراق ٠

(A. L. Haldane, The Insurrection in Mesopotamia, Edinburgh, 1922).

(١٣) جلب هذا الموضوع انتباهي منذ سنوات ، فحاولت معالجته في مناسبات مختلفة (راجع : «التآخي» ، ١ تموز ١٩٧٠ ، «ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي» ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص ٧١ ــ ٧٩) ٠ كما نشرت جزءا أساسيا من هذا الكتاب على شكل بحث مستقل في «مجلة المجمع العلمي الكردي» (بغداد ، المجلد السادس ، ١٩٧٨) ٠

«ثورة العشرين» يساعد ، بدوره ، على تفنيـد اراء الغربيين غير الموضوعية عنها باعتبارهم اياها «تمردا» أو رد فعل رجعيا شرقيا على الحضارة الاوروبية ، أو نتيجة عوامل جانبية كاختلاف الدين وجهل الموظفين البريطانيين للغة العربية وما شابه (١٤) .

تكتنف دراسة هذا الموضوع صعوبات غير قليلة ، يأتي في مقدمتها عدم توفر المصادر لالقاء ضوء كاف على حجم وطبيعة الاحداث التي شهدتها كردستان أيام «ثورة العشرين» . فلم يتطرق الجيل السابق من المؤلفين الكرد الى هذا الموضوع الا في اطار محدود للغاية . كما تخلو المذكرات القليلة المنشورة للوطنيين الاكراد من معلومات تخص «ثورة العشرين» ، فيما عدا شذرات مهمة وردت في الجزء الثالث من مذكرات الاستاذ رفيق حلمي (١٥) . ومن المفيد أن نشير في هذا المجال الى حقيقة مثيرة وهي أن محاكم العهد الملكي أصدرت حكما بالسجن لمدة ثلاثة أشهر على عاصم الحيدري لمجرد قيامه بنشر

---

(١٤) هكذا قيمت الثورة من قبل ا. ل. هالدين (راجع الهامش رقم ١٢) و هـ. ا. فوستر و س. و. لونكريك وغيرهم (راجع :
H. A. Foster, The Making of Modern Iraq, Oklahoma, 1935, PP. 79—88; S. H. Longrigg, Iraq 1900 to 1950. London. 1968. PP. 113—116;
(للتفصيل اكثر راجع : «ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي»، ص ٢٨–٣٠ ، ٦٨–٦٩) .

(١٥) رفيق حلمي ، ياداشت «المذكرات» ، باللغة الكردية ، الجزء الثالث ، بغداد ، ١٩٥٦ .

مقال عن دور الكرد في «ثورة العشرين» (١٦) • أما المؤرخون الآخرون فقد تكلموا عن مشاركة المناطق الكردية في أحداث الثورة ومقدماتها اما بشكل عرضي (الاستاذ عبدالرزاق الحسني ، الدكتور عبدالله الفياض (١٧) وغيرهما) أو ضمن اطار الثورة العام (الدكتور علي الوردي(١٨)) أو من خلال البحث عن نشاطات المحتلين المتشعبة أيام الثورة (آرنولد ولسن ، هيي ، هالدين وغيرهم (١٩)) أو ضمن الكلام عن نشاطات «جمعية العهد ـ فرع الموصل » عشية الثورة (٢٠) •

(١٦) راجع مجلة «هەولير» (أربيل) ، باللغة الكردية ، أربيل ، العدد الثاني ، ايلول ١٩٧١ •

(١٧) راجع الهامش رقم ٢ •

(١٨) راجع الجزء الخامس ، القسم الثاني من كتاب الوردي •

(١٩) ترد معلومات ضافية عن ذلك ضمن البحث •

(٢٠) نشر انشط قادة هذه الجمعية (عبدالمنعم الغلامي ، محمد رؤوف الغلامي ، محمد طاهر العمري وغيرهم) معلومات قيمة عن النشاط السياسي في الموصل خلال الفترة القصيرة الواقعة بين انتهاء الحرب العالمية الاولى واندلاع الثورة ، يخص قسم منها الاكراد وما شهدته منطقتهم من حوادث متلاحقة • وقد وردت ضمن بحوث هؤلاء وثائق مهمة من شأنها القاء الضوء على خفايا كثيرة من الامور ، مما يساعد على التوصل الى استنتاجات موضوعية ضرورية (ترد معلومات ضافية عن مؤلفات هؤلاء ضمن البحث عن مقدمات الثورة وعوامل اقتصار الاخيرة على قطاعات كردية محدودة) • وفي الواقع ان نشاطات فرع الموصل لجمعية العهد بحاجة الى دراسة خاصة ، فقد تميز ذلك الفرع بتقييمات صحيحة ومواقف ثابتة تختلف الى حد كبير عن الخط التساومي السائد في الجمعية ككل ، وسوف نلاحظ جوانب من هذه الحقيقة ضمن المواضيع الواردة في الفصل الاول من هذا الكتاب •

دفع كل ذلك بعض المستشرقين الى الاعتقاد بأن الاكراد لم يسهموا اصلا في «ثورة العشرين» (٢١)، وتطرق آخرون بشكل عابر الى اشتراكهم فيها، ولكن دون أن يتجنبوا الوقوع في بعض الاخطاء الواضحة (٢٢) • ويوجد ايضا بين المؤلفين العراقيين من لم يعط موقع الكرد في «ثورة العشرين» حقه • ففي رأي فريق المزهر آل فرعون ان « الثورة سرت من لواء ديالى حتى وصلت الى لواء كركوك ••• ومن كركوك سرت نيران الثورة الى أربيل، غير انه لم تقع مصادمات أو حوادث مهمة في هذين اللوائين»(٢٣) • وفي رأي الدكتور عبدالله الفياض أن دور «الاقسام الشمالية من العراق» في ثورة العشرين «كان ضئيلا أو معدوما» (٢٤) •

مما سبق يبدو واضحا أن على من يتصدى لدراسة موقع الكرد في «ثورة العشرين» بذل جهود كبيرة لجمع المعلومات المتفرقة التي

(٢١) راجع على سبيل المثال :
ن• و• اوهانيسيان، نضال القوى الديمقراطية العراقية من أجل الغاء الانتداب الانكليزي (١٩٢٠ ـ ١٩٣٢)، في كتاب «بلدان الشرقين الادنى والاوسط»، باللغة الروسية، يريفان، ١٩٦٧، ص ٢٥ •

(٢٢) راجع على سبيل المثال :
ا• ف• فيدجينكه، نضال شعوب العراق من اجل الاستقلال والتقدم الاجتماعي (١٩١٧ـ١٩٥٨)، رسالة باللغة الروسية لنيل شهادة الدكتوراه . موسكو، ١٩٦٧، ص ٦٩ •

(٢٣) فريق المزهر آل فرعون . المصدر السابق، ص ٣٢٦ •

(٢٤) الدكتور عبدالله الفياض، المصدر السابق، ص ٢٥٥ •

ورد معضمها بشكل عابر في الوثائق والصحف والمصادر الاخرى المتوفرة بعدد من اللغات • ومن الضروري جدا اجراء اتصالات مباشرة بأسرع مايمكن مع من بقي على قيد الحياة من اولئك الاكراد الذين كان لهم دور في أحداث العام ١٩٢٠ بشكل أو بآخر ، وهو أمر مهم للغاية ظهرت له بوادر جديرة بالتقدير (٢٥) • وبالرغم من الاهمية القصوى لهذا الامر بالنسبة للاحداث التي شهدتها المنطقة الكردية أيام «ثورة العشرين» ، الا انه مايزال يعتبر ضروريا كذلك بالنسبة للمناطق الاخرى من البلاد • فان بحثا ميدانيا أجراه أحد طلابي في منطقة السماوة (٢٦) استجوب خلاله عددا كبيرا من الفلاحين والعمال والكسبة والملاكين الذين اشتركوا في الثورة فعلا ، أفضى الى نتائج رائعة بالامكان عن طريق تعميقها وتوسيعها

---

(٢٥) استند الدكتور مكرم الطالباني في كتابه «ابراهيم خان ثائر من كردستان » (بغداد ، ١٩٧١) الى أقوال شهود عيان في سرد العديد من الاحداث التي شهدتها منطقة كفري أيام « ثورة العشرين » • كما قدم السيد فاضل كريم في الحلقات ٤ و ٥ و ٦ من مسلسلته «خانقين خلال ربع قرن ١٩٠٠-١٩٢٥ » («التاخي» ، ١٣ و ١٤ و ١٧ حزيران ١٩٧٣) معلومات مهمة عن وقائع منطقة خانقين ايام الثورة استقاها بالاساس من الذين عاصروها •

(٢٦) هو رجاء أحمد بهيش الزبيدي الطالب في قسم الاعلام بكلية الاداب (جامعة بغداد) الذي توسمت فيه الجد والذكاء مع اهتمام خاص بمواضيع «ثورة العشرين» ، وقد أدى ماكلفته به في شباط ١٩٧٨ على أحسن وجه يبدو بعض نتائجه ضمن الحقائق الواردة في الفصل الاول من هذا الكتاب • (في الهوامش القادمة : رجاء أحمد ، بحث ميداني عن «ثورة العشرين») •

القاء الضوء على خفايا كثيرة وتجسيد قضايا اخرى تساعدنا في فهم أدق لظروف الثورة وعوامل انفجارها وبطولات رجالها من بسطاء الناس الذين لم يجلبوا نظر أي من المؤلفين ممن عالجوا مواضيع « ثورة العشرين » • وكما يبدو من بعض الحقائق الواردة في هذا الكتاب ومن المقال الطريف الذي اعده الدكتور صالح جواد الكاظم بمناسبة الذكرى الاخيرة لـ «ثورة العشرين» (٢٧) ، انه لايزال يوجد مجال كبير لسبر أغوار الارشيفات الخاصة التي من شأنها تقديم الجديد الكثير عن أحداث الثورة وعواملها المحركة مع ماكان لمختلف الفئات الاجتماعية من دور في خلق وقائعها البارزة •

توجد ، الى جانب المصادر التي سبقت الاشارة اليها ، مراجع أخرى يمكن الوقوف من خلال المعلومات الواردة فيها على جوانب معينة من الوضع العام في المنطقة الكردية قبيل «ثورة العشرين» وفي أيامها ، منها جريدة « پيشكەوتن » (التقدم) التي أصدرها الانكليز باللغة الكردية خلال الفترة ١٩٢٠ ـ ١٩٢٢ في مدينة السليمانية(٢٨)• وتحتوي صحيفتا «العرب» و «العراق» البغداديتان على معلومات

---

(٢٧) راجع : «ايام من ثورة العشرين في بغداد» ، ترجمة واعداد الدكتور صالح جواد الكاظم ، ـ «العراق» ، بغداد ، ٢٩ حزيران ١٩٢٠ •

(٢٨) كان حاكم المدينة السياسي الميجرسون يشرف بنفسه على اصدار « بيشكەوتن » ويحرر قسما من مقالاتها باللغة الكردية• وقد صدر العدد الاول من هذه الجريدة في ٢٩ نيسان ١٩٢٠ •

ضرورية ورد معظمها ضمن البلاغات الرسمية التي أصدرتها سلطة الاحتلال بخصوص العديد من الاحداث المهمة التي شهدتها المنطقة في تلك المرحلة . وقد عالج العديد من المستشرقين السوفيت موضوع «ثورة العشرين» ، مؤكدين بشكل خاص ، وبالاستناد الى مصادر مختلفة ، على العوامل التي حركتها وتناسب القوى الطبقية فيها وعوامل فشلها في تحقيق جميع أهدافها مع ابراز طابعها التحرري واهميتها التأريخية (٢٩) . وقد تطرق عدد من هؤلاء ، ولاسيما الدكتور ل. ن. كاتلوف في بحثين له (٣٠) ، الى موقع الكرد في الثورة ، وبشكل خاص في المقدمات التي هيأت الطريق لانفجارها .

قبل أن آتي على نهاية هذه المقدمة أود أن اشير الى انني أبقيت النصوص المنقولة من جرائد الثورة ومن البلاغات الرسمية المنشورة في جريدتي «العرب» و «العراق» على وضعها الاصلي ، اسلوبا ومضمونا ، حسب ما تقتضي الامانة العلمية .

---

(٢٩) من الجدير بالذكر ان المستشرق السوفيتي كوركو كرياجين انجز اول دراسة علمية عن «ثورة العشرين» (راجع : ف. ا. كوركو كرياجين ، حركة التحرر الوطني في المشرق العربي . بلاد مابين النهرين ، ـ « الشرق الجديد ، الكتاب الثاني ، موسكو ، ١٩٢٢) .

(٣٠) راجع : ل. ن. كاتلوف . النضال التحرري الوطني للشعب العراقي قبيل انتفاضة ١٩٢٠ . راجع كذلك الهامش رقم ١٠ .

وفي الختام أقدم جزيل شكري للزميلة عاليـة سوسة وللاستاذ نجدة فتحي صفوت لما قدما لي من وثائق لها علاقـة بالموضـوع ، وللاستاذ نريمان مصطفى لما قدم لي من معلومات نادرة عن أحداث منطقة كفري جمعها خصيصا من والده وأقربائه ومعارفه ممن عاصروا تلك الاحداث او اشتركوا فيها فعلا (٣١) ، ولاخي الاستاذ محمـد الملا عبدالكريم المدرس لما بذل من جهود في مراجعته الكتاب وتصحيحه واخراجه في صورته الراهنـة ، وللعاملين في مكتبـة المجمع العلمي العراقي ، ولاسيما مديرها الاخ صباح ياسين نوح والاخ وليدالاعظمي لما قدما من تسهيلات ومساعدات قيمـة ، ولـلاخ كامـل منصـور وعمال مطبعـة الحـوادث ، لما بذلوا من جهود لطبع الكتاب . كمـا أشكر من صميم قلبي تلميذي المجد رجـاء أحمد بهيش الزبيدي الذي انجز باخلاص ودقة جديرة بالتقدير ماكلفته به من اجـراء اتصال مكثف بابناء فئات اجتماعية مختلفة من الجيل المعاصر لـ «ثورة العشرين» في احدى أهم بؤرها .

وأخيرا ارجو أن أكون قد وفقت في القاء بعض الضوء عـلى صفحة اخرى من صفحات «ثورة العشرين» المشرقة ومعها جـانب من تأريخ الشعب الكردي المعاصر ، الموضوع الذي أكد العديد مـن

---

(٣١) ينوي الاخ نريمان اعداد بحث مستقل حول هذا الموضوع ، وهو أمر ضروري من شأنه القاء أضواء جديدة على الاحـداث الثورية التي شهدتها منطقة كفري في العام ١٩٢٠ .

المثقفين العرب على أهميته وضرورة بحثه (٣٢) ٠

---

(٣٢) راجع التقريض الذي نشره الدكتور جليل كمال‌الدين عن كتاب «ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي» في مجلة «صوت الاتحاد [لسان اتحاد الادباء التركمان]» ، بغداد ، العدد ٢٠ ، ١٩٧٨ ، ص ١٤ ٠ وقد اكد اخوان اخرون على ضرورة البحث في هذا الموضوع منهم الاستاذ عبدالرزاق الحسني والدكتور عبدالقادر احمد اليوسف والدكتور هاشم صالح التكريتي والدكتور صالح جواد الكاظم ٠ وقد ترك الدكتور الوردي أمر دراسة احداث كردستان العاصفة في تلك المرحلة الى اخوانه «الباحثين الاكراد» (راجع : الدكتور علي الوردي، المصدر السابق ، الجزء الخامس ، القسم الثاني ، ص ٦٥) ٠

الفصل الأول

« ثورة العشرين » ـ عوامل ومقدمات

كانت «ثورة العشرين» ، كأي حدث تاريخي معاصر كبير ، نتيجة منطقية لتفاعل عدد كبير من عوامل داخلية اساسية وخارجية مساعدة دفعت التناقض بين الشعب العراقي والمحتل البريطاني الى طور الانفجار الذي توفرت أسبابه (١) • والعوامل الداخلية التي نحن بصددها كانت سياسية واقتصادية واجتماعية نجمت عن التغيرات الكبيرة التي طرأت عليها مع استكمال الاحتلال البريطاني للعراق • فان الوعي السياسي لدى طبقات وفئات اجتماعية عراقية معينة قد بلغت قبل الحرب العالمية الاولى مستوى التقييم الصحيح لمفهوم الاستقلال ، مما انعكس في النشاطات السياسية التي بدأت تتبلور

---

(١) التناقض بين الشعب والمحتل من الامور الحتمية ، الا انه لايؤدي ، بالضرورة ، الى الانفجار دائما ، ذلك لان كل فورة سياسية تحتاج ، كظواهر الطبيعة نفسها ، الى توفر شروط محددة تحول التراكمات الكمية الى تغيير نوعي •

بشكل ملموس في عصر نهوض أسيا ، ولاسيما مع انتصار ثـورة الاتحاديين في العام ١٩٠٨ . فقد اشترك عدد غير قليل من العراقيين بحماس في تأسيس الجمعيات والمنظمـات والمؤتمـرات السياسيـة والادبية في الخارج ، بل ان بعض المثقفيـن العراقيين المقيميـن في استانبول هم الذين بادروا الى تأسيس عدد من الجمعيات التي ظهرت قبل الحرب (٢) . وقد ربط الوطنيون العراقيون ، مثل غيرهم ، تحقيق الاستقلال بانهيار الامبراطورية العثمانية ، وهو أمر غـذاه الحلفاء بشكل ذكي ، لاسيما من خلال عهودهم ووعودهم الكثيرة فيما يخص مستقبل المنطقة . ولكن سرعـان ما انكشفت النوايـا الحقيقية ، وتبين ان الذين حلوا محل العثمانيين هم أشد مكرا واكثر تمسكا بأرض الآخرين وثرواتهم ، مما أقنع الوطنيين بأن لابديل عن النضال من أجل الاستقلال بعد ان بدأت «مخالب الانكليز» تنشب «في جسم الامة العراقية الحية » حسب تعبير «الاسـتقلال» احدى جريدتي الثورة (٣) التي زينت صدر الصفحة الاولى من عددها الاول حتى آخر عدد صدر منها بشعار أن «لاحياة بلا استقلال» لانهـا ادركت ان «الاستقلال والحرية» هما «اساس النجاح وقاعدة عمران

---

(٢) مثل داود الدبوني الموصلي الذي اسس في استانبول جمعيتي «العلم الاخضر» و «اليد السوداء» .

(٣) « الاستقلال » ، النجف ، العدد السابع ، ٢٩ محرم ١٣٣٩ ، ١٢ تشرين الاول ١٩٢٠ . (في الهوامش القادمة نشـير الى مكان صدور الجريدة ، مدينة النجف ، وذلك لتفادي الالتباس بين هذه الجريدة و «الاستقلال» البغدادية) .

البلاد» (٤) • وقد جاء التعبير أبلغ حتى من ذلك على لسان «الفرات» جريدة الثورة الاخرى ، التي كتبت تقول :

« وقد نفد صبر الامة مما تلاقيه كل يوم من جور حكام الاحتلال ، ولاسيما في هذه الايام التي ضج فيها العراق وملأ دوي احتجاجاته الآفاق تحقيقا لمبدأ (تقرير المصير) وتأييدا للاستقلال التام » ، ذلك لانه « أدرك العراقيون أن المطالبات القانونية والمظاهرات السلمية لاتجدي نفعا ولا تسترجع حقا ، ولاسيما ان صدى الاحتجاج العادل لاينعكس الى الاندية السياسية في العالم لاستئثار الانكليز بكافة أدوات الوصل في البلاد » (٥) •

ومع ان الجيش الرئيس للثورة لم يبلغ من الوعي مستوى يقيم كل ، أو معظم أفراده مفهوم الاستقلال كما يجب ، الا انه لم يصعب عليه فهم ضرورة التغيير السياسي (٦) ، أو على الاقل ازاحة كابوس الاحتلال الذي جلب له ظروفا اقتصادية اسوأ من السابق (٧) • أما

---

(٤) ورد ذلك في افتتاحية العدد الخامس من الجريدة («الاستقلال» ، النجف ، ٢٥ محرم ١٣٣٩ ، ٨ تشرين الاول ١٩٢٠)

(٥) «الفرات» ، النجف ، العدد الثاني ، ٢٨ ذي القعدة ١٣٣٨ (١٤ اب ١٩٢٠) •

(٦) انعكس ذلك بشكل او باخر في اهزوجات الشعراء الشعبيين كما نبين ذلك ضمن خاتمة هذا الكتاب •

(٧) لعبت نتائج الحرب العالمية الاولى دورا أساسيا في تعقيد الوضع الاقتصادي العام في البلاد وفي تجسيد الاثار السلبية لسياسة الانكليز في هذا الميدان •

الفئات الاجتماعية الاخرى التي جعلت من الأستقلال شعارها الرئيس للنضال أيام الثورة فقد ادركت ضرورة تعميم هذا المطلب السياسي الملح بشكل يمتد مفعوله الى الجميع • وفي ما يلي نص ما جاء في احد مناشير الثورة بهذا الصدد :

« ان الوطن الذي الزم كل فرد منكم بالدفاع عنه يلزمكم ايضا بان تراعوا الشروط التالية :

١ـ يجب على كل رئيس قبيلة ان يفهم كافة أفرادها ان المقصود من هده التورة انما هو طلب الاستقلال التام ،

٢ـ ان يهتف للاستقلال كل في ميادين القتال » (٨) •

هذه المسألة كانت عامة بالنسبة للجميع • فان الاكراد لم يعانوا بدورهم القليل من عهود ومواثيق المسؤولين الانكليز ، وغيرهم ، منذ أن دخلت القوات البريطانية المناطق الكردية في السنة الاخيرة من الحرب • فان تلك العهود ، كما يقول المؤرخ البريطاني المعروف ارنولد توينبي ، ما كانت تخص الاكراد أقل من غيرهم (٩) •

لم يلعب العامل الاقتصادي دورا قليلا في اثارة حفيظة الشعب

---

(٨) نص المنشور راجع : عبدالرزاق الحسني ، الثورة العراقية الكبرى ، ص ٢١٥ ـ ٢١٦ • وقد ورد فيه مايبرز وجها مشرقا من وجوه «ثورة العشرين» •

(٩) راجع :

((Survey of International Affairs, 1934)), London, 1935, P. 123.

العراقي ، ولاسيما طبقاته المسحوقة ، ضد الانكليز • وهو أمر لم يوله معظم الباحثين عن «ثورة العشرين» ما يستحق من اهتمام ، بل تبدو المغالطات واضحة في دراسة بعضهم لهذه النقطة الحساسة•وكما لايخفى فان للعامل الاقتصادي تأثيره في كل تحرك جماهيري من النوع الذي حدث في العراق عام ١٩٢٠ ، وذلك بغض النظر عن التعبير الظاهري لهذا العامل على شكل مطاليب وشعارات أو عدمه • فمن قوانين الحياة نفسها انالوضع الاقتصاديالسيء يخلقلدىالفرد وضعا نفسيا يجعله اكثر استعدادا للتضحية ولتقبل افكار المعارضة والاشتراك في الاعمال التي تعبر عن الاستياء العام ، والعكس صحيح مطلقا • ومن هذه الزاوية يجب تقييم دور العامل الاقتصادي في « ثورة العشرين » •

تشير جميع المصادر والوثائق والتقارير الرسمية ، وغير الرسمية ، الى حقائق توضح مدى تردي الوضع الاقتصادي في العراق خلال سنوات الحرب العالمية الاولى وبعدها مباشرة • ولايقع وزر كل ذلك على الانكليز بالطبع ، الا أن الناس لايلقون تبعة سوء وضعهم الاقتصادي ، عادة ، الا على السلطة القائمة فعلا • ثم ان المحتلين انفسهم قد تبنوا سياسة اقتصادية مجحفة لم تنجم عن طبيعتهم الاستغلالية حسب ، بل وايضا عن التردي الفظيع الذي انتاب الحياة العامة ، لاسيما الاقتصاد البريطاني ، من جراء الحرب • فقد كلفت الحرب العالمية الاولى انكلترا (بدون الهند) حياة حوالي ٧٥٠ ألف

شخص وجرح حوالي ١ر٧ مليون (١٠) أصيب معظمهم بعاهات جعلتهم عالة على المجتمع • وان هؤلاء كانوا يشكلون قسما أساسيا من خيرة قوى البلاد الانتاجية على أساس أن الجانب الاكبر ممن نزلوا الى سوح القتال كانوا في أوج شبابهم • وحسبما يبدو فان خسارة انكترا لهذا الصنف من العمر كانت اكبر حتى من المانيا (١١) • فبموجب معطيات ونستون جرجل ان خسائر الانكليز من الضباط في الحرب الاولى بلغت ١١٥ر٤٧١ شخصا يقابلهم ٤٧ر٢٥٦ ضابطا المانيا ، أما خسائر المراتب الادنى فقد بلغت ٢ر٣٢٥ر٩٣٢ شخصا من الانكليز يقابلهم ١ر٦٣٣ر١٤٠ من الالمان • بمعنى ان الانگليز خسروا مقابل كل ضابطين المانيين خمسة من ضباطهم ، ومقابل كل المانيين من المراتب الادنى فقدوا ثلاثة اشخاص (١٢) •

اما من الناحية المادية الصرفة فقد كلفت الحرب انكلترا ما لا يقل عن ثلث ثروتها القومية • فهي خسرت ما مجموعه ٨ر٥ مليار

---

(١٠) للتفصيل راجع :
C. F. Cruttwell, A history of the Great War 1914—1918, Oxford, 1969, P. 630.

(١١) لايقصد بذلك مجموع الخسارة العامة التي بلغت بالنسبة لالمانيا ١ر٨٠٨ر٥٤٥ قتيلا و ٤ر٢٤٧ر١٤٣ جريحا (راجع :
C. F. Cruttwell, Op. Cit., P.631).

(١٢)
W. S. Churchill, The Great War, Vol. III, London, PP. 1253—1255.

جنيه استرليني (١٣) ، مما يزيد على خسارة فرنسا المادية بمقدار ٧٠٪ • وقد تقلص الانتاج الصناعي البريطاني في ١٩١٤ – ١٩١٨ بمقدار الخمس • اما القروض المترتبة على الدولة فانها بلغت في العام ١٩١٩ حوالي ٧٨٢٩ مليون جنيه استرليني مقابل ٦٥٠ مليون فقط في العام ١٩١٤ • ومن الجدير بالذكر ان نصيب الولايات المتحدة وحدها من هذا القرض قد بلغ ٨٥٠ مليون جنيه استرليني بعد ان كانت في يوم من الايام هي التي تستقرض من انكلترا • وفي الوقت نفسه ، ومن جراء كل ما سبق تقلصت صادرات البلاد ، عصب حياتها الاقتصادية ، بشكل خطير ، بحيث انها لم تبلغ في العام ١٩١٩ اكثر من ٤٥٪ من صادراتها قبل الحرب (١٤) •

في مثل هذه الظروف حاول المستعمرون الانكليز جني اكبر الارباح الممكنة من الاقطار التي فرضوا عليها سيطرتهم بالقوة ، وصرف أقل ما يمكن على اجهزة ادارتهم وقواتهم الموجودة في تلك

---

(١٣) تقدر اضرار الحرب بالنسبة لجميع البلدان بحوالي ٣٣٨ مليار دولار (راجع :
W. Z. Foster, Outline Political history of the Americas, New York, 1951 (the Russian ed., M., 1943), P. 497.

(١٤) راجع :
ب• ف• كورفيج ، انكلترا ، «تاريخ العالم» ، باللغة الروسية، الجزء الثامن ، موسكو ، ١٩٦١ ، ص ٣٠٢–٣٠٣ ؛
مجموعة مؤلفين ، بريطانيا العظمى ، – «الانسكلوبيديا التاريخية السوفيتية » . الجزء الثالث ، موسكو ، ١٩٦٣ ، ص ١٩٨–١٩٩ •

الاقطار لعجز دافع الضريبة البريطاني عن تحمل عبء اكبر مما كان يتحمل ، فقد بلغ استياؤه حد خلق جو سياسي متوتر في الداخل . وفي ضوء هذا الواقع تصرف المحتلون في العراق ، بان حاولوا القاء ثقل مصروفات ادارة الاحتلال وقواتهم الكبيرة على العراقيين، فلجأوا الى شتى الوسائل واغربها بهدف ضمان اكبر قدر من المدخولات لميزانية السلطة المحتلة . فحسب المعلومات الواردة في الوثائق البريطانية الرسمية ارتفعت الضرائب المباشرة في المناطق المحتلة ، في العام ١٩١٨ - ١٩١٩ ، بمقدار ١ - ١ر٦٥ مرة قياسا الى ما كانت عليه في العام ١٩١١ - ١٩١٢ . وارتفعت في السنة المالية التالية (١٩١٩ - ١٩٢٠) بمقدار اكثر من مرتين (١٥) . وتتجسد هذه الصورة اكثر اذا علمنا ان واردات الادارة المدنية البريطانية في العراق خلال ١٩١٧-١٩١٨ بلغت ٥ر١٥٢ لك (١٦) روبية جاء

(١٥) للتفصيل راجع :
((Civil Commissioner of Mesopotamia. Review of the Civil Administration of Mesopotamia presented to both Houses of Parliament by Command of His Majesty)), London, 1920, P. 118;
ل.ن. كاتلوف ، انتفاضة ١٩٢٠ الوطنية التحررية ، ص٦٩ ، الدكتور محمد سلمان حسن ، طلائع الثورة العراقية . العامل الاقتصادي في الثورة العراقية الاولى ، الطبعة الثانية ، بغداد ، ١٩٥٨ ، ص ٢١ . (حسب المعلومات الواردة في الكتاب الاخير بلغ مجموع الدخل الحكومي الزراعي في العهد العثماني حوالي ٦٩٠ الف دينار سنويا ارتفع الى مليون و ٣٠٠ ألف في العام ١٩١٩) .

(١٦) « لك » كلمة فارسية أو هندية الاصل تعني مئة الف . يعادل اللك الواحد مئة الف روبية أو ٧٤٤٨ جنيها استرلينيا .

اكثر من نصفها (٧٩٫٥ لك) من الضرائب الزراعية والبقية تقريبا (٦٧٫٥ لك) من الرسوم ، بينما أصبح الخط البياني للواردات نفسها في العام التالي على هذا النحو : بلغت الواردات ٢٩٣ لك جاء اكثر من ثلثيها (٢١٧٫٥ لك) من الضرائب الزراعية ، بينما انخفض المقدار النسبي والمطلق للرسوم المجباة بحيث بلغت هذه المرة ٦٥ لكا فقط ، علما بان انتاج الحبوب قد هبط في العام ١٩١٨ الى ربع ماكان عليه في العام ١٩١٣ (١٧) • وتتجسد الصورة نفسها اكثر من خلال ما ذكره أحد الموظفين الاداريين البريطانيين الذي اعترف بان معدل ماكان يصيب الفرد العراقي من الضرائب المجباة بلغ ضعف ماكان يصيب الفرد في مقاطعة البنجاب الهندية التي مضت حوالي مئتي عام على الوجـود البريطاني فيها • والابلغ من ذلك مانشرته جـريدة ال « ديلي ميل » في عـز أيـام الثـورة بهذا الصدد • فقد كتبت الصحيفة الانكليزية في عددها الصادر يوم ١٢ تموز ١٩٢٠ تقول ما نصه :

« كشفت ميزانية العراق للسنة ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ عن ضرائب بلغت خمسة ملايين ونصف المليون جنيه استرليني ، اي مـا يعادل جنيهين للفرد الواحد من السـكان • وفي قطـر شرقي تعتبر هـذه الضرائب شيئا لم يسمع به تقريبا • ففـي بريطانيا العظمى ، التي كانت يوما ما غنية جدا ، كانت كل ضريبتنا قبل الحرب ثلاثة جنيهات

---

(١٧) الدكتور محمد سلمان حسن ، المصدر السابق ، ص١٤ •

ونصف الجنيه فقط للفرد الواحد » (١٨) •

مما سبق لا يبدو غريبا ان المؤسسة الوحيدة التي ظلت تعمل ضمن الادارة المدنية البريطانية طيلـة سنوات الحـرب كانت ••• مديرية الواردات !! •

الى جانب هذه الامثلة العامة التي امتدت اثارها لتشمل جميع الفلاحين العراقيين ، فان بالامكان ايراد أمثلة خاصة عانت منهـا المنطقة الكردية وحدها ، او اكثر من غيرها ، وذلك بحكم الظروف الطبيعية التي تميزها عن بقية المناطق • فان الانكليز ، مثلا، كانوا يفرضون على الأراضي الاميرية في بعض المناطق الكردية ضرائب تفوق بمقدار ١٦٪ الحد الاعلى المقـرر قانونـا بالنسبـة للمنـاطق المطرية (١٩) • وقد اتخذ هذا الموضوع بعدا أبعد بالنسبة لزراعة التبغ الـذي اولى الانكليز انتاجه اهتمامـا خاصا منـذ الايـام الاولى لاحتلالهم للمنطقة • فقد استقدموا الخبراء من الخـارج لدراسـة مشاكله وسـبل تطويره ، منهـم الخبـير الامريـكي شتراوس (H. P. Strause) الذي دعي الى العراق في مطلع العام ١٩٢٠ • كما اعدوا التقارير المفصلة للغرض نفسه ، ومن أجـل كل مايتعلـق بالضرائب المفروضة على انتاجه وتسويقه ، ودشنوا الخطوات الاولى

---

(١٨) راجع : الدكتور صالح جـواد الكاظم ، عن ثـورة العشرين وبعدها القومي ، ــ « العراق » ، ٣٠ حزيران ١٩٧٧ •

(١٩) راجع :

((Report by His Majesty's Government on the Administration of Iraq for the period April 1923 — December 1924)), London. 1925, P. 138

على طريق انحصاره (٢٠) مما أثار استياء كبيرا بين زراع التبغ فيما بعد • وقد تمخضت عن كل ذلك ضرائب جديدة لم يعهدها زراع التبغ من قبل ، فانهم أصبحوا ملزمين بعد الاحتلال بأن يدفعوا عن كل كيلوغرام من منتوجهم ضريبة تزيد بمقدار ١٥ مرة عما كان يدفعه اسلافهم في العام ١٩١١ (ارتفعت هذه النسبة في بداية الثلاثينيات الى ١٥٠ مرة) (٢١) ،مما كان يشكل عبئا ثقيلا ، خاصة وان التبغ كان يشكل آنذاك دعامة الحياة الاقتصادية لمعظم المناطق الكردية •

وازداد الضغط بنفس المستوى تقريبا على أصحاب المواشي والحيوانات التي كانت تشكل بدورها دعامة اساسية لحياة الفلاح الكردي • وهنا ايضا لم يقتصر الامر على رفع الضرائب المفروضة على أصحاب الحيوانات بشكل ملموس حسب ، بل أن المسؤولين الانكليز قد اعدوا بعد الاحتلال مباشرة تقارير مفصلة عن دقائق كل مايتصل بالثروة الحيوانية للمنطقة ، لغاية تسجيل كل مايمتلكه الفرد

---

(٢٠) للتفصيل حول الموضوع راجع : المركز الوطني للوثائق (في الهوامش القادمة م• و• و•) ، الملف رقم ١/١٨ (التبوغ في الموصل ، كركوك والسليمانية) ، ١٩١٨ ـ ١٩١٩ ؛ الملف رقم ١٠١٢ للعام ١٩٢٠ (التبوغ) •

(٢١)

((Report by His Majesty's Government on the administration of Iraq for the period April 1923 — December 1924)), P. 110; ((The Iraqi Directory. A general and commercial Directory of Iraq, 1936)), Baghdad, 1936, P. 225.

في بعض المناطق (٢٢) • ومن يرجع الى التقارير والمراسلات الرسمية التي تعود الى تلك الفترة ير كيف انالانكليز بدأوا بدراسة كل مايتعلق بمختلف منتوجات البلاد ، استخداماتها ، شبيهها في الخارج، كمية المنتوج منها سنويا ، صادرات الهند او وارداتها منها وماشابه تلك من مواضيع(٢٣)• ولم يعكس ذلك الواقع الحضاري للمحتل الجديد بقدر ماكان يعكس اهتمامه لضمان الموارد الضرورية لادامة ادارته واعماله في البلاد ، مما وقع ثقله على الفئات الاجتماعية الكادحة من الشعب العراقي •

ومما كان يزيد من ثقل الضرائب على الناس ان بعض حكام المناطق الكردية كانوا يضعون بأنفسهم تعليمات خاصة بقصد رفع واردات الخزينة • ففي السليمانية ، مثلا ، أصدر الميجر سون لائحة خاصة مؤلفة من ٢٣ بندا نشرت على شكل ملحق مستقل للعدد الثامن من جريدة «پيشكەوتن» (٢٤) • وقد نص قسم من مواد هذه اللائحة

---

(٢٢) راجع مثلا: م• و• و• ، رقم الملف ١٢/٨ (١٩١٨ ـ ١٩١٩)؛
51/3, P. II, 1919 (Plough Cattle — Sulaimaniyah, Kirkuk and Mosul).

(٢٣) راجع مثلا: م• و• و• ، رقم الملف
168/58 (Agriculture in Erbil, 1919) ; 168/57 (Irrigation Schemes for Kurdistan, 1919); 21/D (Agriculture — Arbil Division, 1920).
ومن الطريف ان نذكر ان الملف الاخير مخصص لموضوع انتاج (السماق) في المنطقة الجبلية •

(٢٤) « بيشكەوتن » ، ١٧ حزيران ١٩٢٠ •

على أن يكون بعض الضرائب الزراعية نقدية ، ونصت مواد أخرى منها على ان تكون الضريبة المفروضة على المنتوج في الاراضي الاميرية والسنية ٤٠ ٪ ، مما كان يشكل نسبة عالية للغاية (البندان ٦ و ٧) . وبموجب البند العاشر الزم أصحاب الاشجار بدفع روبية واحدة عن كل شجرة تبلغ ٥ سنوات من العمر ، وحوالي ١ر٥ روبية عن الشجرة التي عمرها سبع سنوات أو أكثر . وقد كانت هذه النسبة أعلى بكثير مما فرض على اشجار النخيل في الوسط والجنوب . وقد تضمنت اللائحة نفسها بنودا جعلت من التهرب عن دفع الضريبة أمرا صعبا للغاية ، واخرى نظمت أمور تخمين الحاصل بشكل دقيق لم تر المنطقة لها مثيلا في السابق (البنود ١١-٢٣) . وبهذا الاسلوب تمكن سون من ضمان اكتفاء ذاتي لمنطقة السليمانية التي لم تكلف خزينة سلطات الاحتلال في عام الثورة فلسا واحدا ، مع انه صرف على الامور العسكرية والبوليس وبناء الطرق والجسور الضرورية للعمليات العسكرية حوالي ٢ مليون روبية ، فقد بلغت واردات المنطقة في السنة المذكورة ٣ر١٧٨ر٩٨٠ روبية وشكلت مصروفاتها المبلغ نفسه(٢٥) .

كان على الفلاح العراقي ان يؤدي للمحتلين الانكليز ما يؤديه للعثمانيين من أعمال سخرة او اعمال الزامية لقاء اجر قليل ، مما كان يعني ابعاد الوف مؤلفة من الفلاحين وغيرهم من اعمالهم الاصلية . وباعتراف المسؤولين البريطانيين انفسهم لم تعدم حالات كانوا يلجأون

(٢٥) راجع التقرير الخاص بواردات ومصروفات السليمانية في « بيشكه‌وتن » ، ٢٣ كانون الاول ١٩٢٠ .

فيها الى استخدام القوة لجمع الناس من المناطق النائية بسبب حاجتهم الى الايدي العاملة لانجاز مشاريعهم العسكرية وغيرها والتي مس قسم منها مصالح المنتجين الزراعيين مباشرة• فحسب مايشير التقرير الخاص الذي رفع الى مجلس العموم واللوردات عن سير الادارة في العراق ، انجزت السلطات البريطانية في منطقتي سوق الشيوخ والعمارة مشاريع لرفع مستوى المياه في نهر دجلة وهور الحمار بقصد تسهيل الملاحة امام السفن التي كانت تزود قوات الاحتلال بالمؤن والذخيرة مما أدى ـ باعتراف التقرير نفسه ـ الى قطع المياه عن حقول الرز العائدة للعديد من العشائر المحلية في حوض دجلة (٢٦) •

لم يقتصر ثقل الضرائب الجديدة على الفلاح والريف • فان السلطات البريطانية لم تتردد في فرض الرسوم حتى « على جثث الموتى » ، والتي وضعها حاكم النجف لكونها مربحة ، اذ بلغت وارداتها في العام ١٩١٨ حوالي ٤٨ ألف روبية كان من المقرر ان ترتفع خلال عام واحد الى حوالي ١ر٢ مليون روبية (٢٧) •

بالامكان ايراد أمثلة اخرى كثيرة تبين الواقع الضريبي المجحف الذي رافق الاحتلال البريطاني للعراق والذي آثار استياء مشروعا لدى فئات اجتماعية مختلفة • وليس عبثا ان معظم الذين استجوبوا في

---

(٢٦) راجع : ل• ن• كاتلوف ، انتفاضة ١٩٢٠ الوطنية ـ التحررية، ص ٦٧ ـ ٧٠ •

(٢٧) للتفصيل راجع : الدكتور عبدالله الفياض ، المصدر السابق، ص ١٧٤ ـ ١٧٥ ، ٢٢٢ •

السماوة يتذكرون جيدا بأن الانكليز كانوا يأخذون عن النخلة الواحدة ما يعادل ١٦ فلسا ، بينما كان العثمانيون يأخذون عن الشجرة نفسها ٦ فلوس فقط (٢٨) . ومما كان يزيد من ثقل الضرائب بالقياس مع ماكان سائدا في العهد العثماني السياسة المركزية التي اتبعها الانكليز في جمعها ، بحيث قلت بشكل ملموس فرص التهرب عن الدفع اوالتحايل أثناء التخمين الذي كان يجري قبل الدراسة عادة . فاذا كان ٢ الى ٤ من الضبطية الذين كانوا دوما « في فقر وضيق » والذين «لم يتناول أحدهم بالسنة اكثر من راتب شهرين أو ثلاثة اشهر » يزاولون جمع الضرائب في معظم المناطق الكردية التي كانت تتهرب أصلا عن دفع ما يترتب عليها او تكتفي بجزء قليل منه (٢٩) ، فان الانكليز، باعتراف احدى مجلاتهم، بدأوا يستعينون حتى بالطائرات لتحقيق نفس الهدف (٣٠) . ويتذكر معظم الذين استجوبوا في

---

(٢٨) رجاء أحمد . بحث ميداني عن «ثورة العشرين» . ذكر الفلاح طاهر لبد بدير ، البالغ من العمر حوالي ٨٥ عاما ، ان الانكليز فرضوا الضريبة على كل شيء ، « حتى على حلانة التمر الموجودة بالشارع » وعلى « التخت الموجود أمام المقهى » . ولا يخلو من معنى ان رؤساء العشائر الكردية كانوا يؤكدون في مراسلاتهم الخاصة مع الانكليز بعد الاحتلال على موضوع الضرائب وضرورة تنظيمها (راجع مثلا : F. O: 371 / 5069) .

(٢٩) صديق الدملوجي ، امارة بهدينان الكردية أو امارة العمادية ، موصل ، ١٩٥٢ ، ص٨١ ، ١٤٩ ـ ١٥٠ .

(٣٠) ((The Near East and India)), November 23, 1922, PP. 149—150.

السماوة كيف ان الانكليز استخدموا اليهود لتخمين الضرائب ، وكيف ان هؤلاء كانوا يؤدون مهمتهم بدقة لا متناهية ، بل ان بعضهم لم ينس حتى اليوم اسم « ساسون افندي » الذي كان يحسب حساب الحبة الواحدة • كما يتذكرون جيدا ان التهرب من دفع الضريبة كان يكلف المتهرب اكساءه ملابس حمراء والطواف به في سوق المدينة اهانة له وعبرة للاخرين (٣١) •

ومن المهم ان نشير بهذا الصدد الى انه تتوفر بين وثائق الثورة نفسها ما يؤكد صراحة التأثير المباشر للعامل الاقتصادي ، ولا سيما سياسة المحتلين الضريبية ، في اثارة حفيظة الناس• فقد كتبت جريدة « الفرات » في عددها الخامس ، وهي تخاطب الحاكم المدني العام ، ما نصه :

« لقد هدمتم هذا الركن بمقالع من السياسة التي اهلكت الحرث والنسل وأتت على الاخضر واليابس ، فتراب كل منطقة يشهد بانكم سلبتم الحب حتى من منقار الطائر ، واستخرجتم المخ من العظم ، وضاعفتم الخراج أضعافا للزراع فأصبحوا يسألون الناس الحافا وانتم تسألونهم فوق الجهد وتكلفون نفوسهم فوق الوسع ، أهذا

---

(٣١) رجاء احمد ، بحث ميداني عن « ثورة العشرين » •

(٣٢) « الفرات » ، العدد الخامس ، ٢ محرم ١٣٣٩ (١٥ أيلول ١٩٢٠) •

عدلكم ؟ » (٣٢) .

وجه الاندماج بالسوق الرأسمالية العالمية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ضربة مميتة الى الانتاج الحرفي في كل البلاد والذي لم يتوقف بسبب ذلك عند حد عدم استطاعة الانتقال الى مرحلة أعلى حسب ، بل اخذ يتقلص بسرعة كبيرة ايضا . وبفضل الاحتلال زالت نهائيا العوائق الجزئية السابقة امام الربط النهائي لاقتصاديات العراق بعجلة العالم الرسمالي ، مما تحول ، مع سياسة الانگليز الضريبية ، الى القشة الاخيرة التي قصمت ظهر هذا الفرع الاساس من حياة البلاد الاقتصادية . ولم تختلف المنطقة الكردية في ذلك عن بقية المناطق الا في بعض التفاصيل الجزئية . فاذا انخفض عدد أنوال النسيج في بغداد خلال نصف قرن من ١٢ ألف الى مئات قليلة فقط ، فمن المائة والخمسين من محلات تصليح الاسلحة وتعبئة الخراطيش التي شاهدها مارك سايكس عام ١٩٠٢ في مدينة السليمانية (٣٣) لم يبق فيها بعد الحرب سوى محل أو محلين فقط سرعان ما اختفيا بدورهما .

لم تقتصر مظاهر تردي الوضع الاقتصادي في العراق بعد الاحتلال على ما سبق ذكره . فان الانتاج الزراعي قد انخفض من

---

(٣٣) راجع :
C. J. Edmonds, Kurds, Turks and Arabs. Politics travel and research in North—Eastern Iraq, London, 1957, P. 80.

جراء العمليات الحربية وتجنيد الفلاحين وهلاك عدد كبير من قوى الانتاج ووسائله ، بما في ذلك المواشي ، الى ربع ماكان عليه عشية الحرب ، ولم يستعد مستواه السابق الا في أواسط العشرينيات • وقد أدى ذلك ، مع مجموعة عوامل اخرى سبقت الاشارة الى قسم كبير منها ، الى حدوث ارتفاع كبير في اسعار الحاجيات الضرورية • فقد ارتفعت اسعار الحبوب بمقدار ١ر٥ الى ٢ر٥ مرة والشاي بمقدار ٣ مرات والسكر بمقدار ٥ مرات • وكان معظم هذه الحاجيات توزع بواسطة البطاقات وبكميات قليلة للغاية (٣٤) • وارتفعت اسعار بعض الحاجيات المتوفرة ، مثل الاسماك ، بمقدار ٤ مرات ، مما اعتبره الناس « مضرا الى اهالي البلد والفقراء » حسبما ورد في عريضة بعض السماكين الى المسؤولين الانكليز (٣٥) • وقد انعكس جوع الناس في اهزوجات تلك الايام •

وكان من الطبيعي أن تعاني المناطق الكردية من آثار كل ذلك بقوة ، ولاسيما ان اكثريتها فقدت جراء الحرب ما لايقل عن ثلثي سكانها (٣٦) والجانب الاكبر من دورها ومبانيها • فعلى سبيل المثال

---

(٣٤) راجع : الدكتور محمد سلمان حسن ، المصدر السابق ، ص ١٥ ؛ علي آل بازركان ، المصدر السابق . ص ١٥ •

(٣٥) م• و• و• ، رقم الملف
125/514 (Fish Tax, 1915—1918)

(٣٦) راجع :
A. T. Wilson, Loyalities Mesopotamia 1914—1917
A personal and historical record, London,
P. 226; C. J. Edmonds. Op. Cit., P. 81;

=

بلغ الخراب في السليمانية حد ان تقريرا رسميا بريطانيا يحمل تاريخ ١٦ آذار ١٩١٩ اقترح ترك المدينة نهائيا وبناء اخرى جديدة بالقرب منها • وقد عرض التقرير نفسه ما أصاب السليمانية بهذا الشكل :

	١٩١٣	١٩١٨	مازال من الوجود خلال الحرب
الجوامع	٢٩	١٠	١٩
التكايا	٣	–	٣
الخانقاهات	٢١	٢٠	١
الدور	٣٫٢٠٥	١٫٣٢٩	١٫٨١٣
الحوانيت	٧٦٠	٣٣٨	٤٢٢
المقاهي	٣١	١٥	١٦
الحمامات	١١	٦	٥
الطواحين المائية	٢٤	١٩	٥
البساتين	١٨	٥	١٣
الخانات	٢٠	١١	٩
الاسواق	٦	٢	٤
الدكاكين في هذه الاسواق	٣٩٩	١٣٤	٢٦٥ (٣٧)

=

م٠ س٠ لازاريف ، كردستان و المشكلة الكردية (من تسعينيات القرن التاسع عشر حتى العام ١٩١٧) ، موسكو ، ١٩٦٤ ، ص ٣١٤ ٠

(٣٧) م٠ و٠ و٠، الملف
25/01 (Sulaimaniyah — Municipality, 1920)

وقد جاء في احدى البرقيات المرسلة الى بغداد من السليمانية بعد دخول الانكليز فيها ان « ٨٠٪ من سكانها قد اختفوا وان معظم المدينة عبارة عن خرائب • اما الانتاج العام للمنطقة فقد انخفض في حدود ٨٠٪ ، اذ يباع طن القمح بـ ١٦٠٠ روبية والرز بـ ٢٤٠٠ روبية » (٣٨) •

ولم يقتصر الامر على مثل هذا الخراب الفطيع • فقد فقدت معظم المناطق الكردية جانبا كبيرا من دوابها ومواشيها ، كما تركت اكثر من ٥٠٪ من أراضيها الزراعية المستغلة قبل الحرب بورا مثل غيرها • وهذا يفسر لنا لماذا أن الغلاء لم يبلغ في أي جزء من العراق مستوى مابلغه في منطقة السليمانية باعتراف المصادر الرسمية نفسها (٣٩) •

وعلى الغرار نفسه تتوفر شواهد عديدة تبين التشابه القريب من المطلق بين الاوضاع الثقافية والاجتماعية في المنطقة الكردية وماكان سائدا في بقية انحاء البلاد في ظل الاحتلال • فقد شهدت تلك المنطقة لاول مرة السماح رسما لبعض الممارسات المنافية للقيم الروحية السائدة في العالم الاسلامي ، كمنح الاجازات لبيع الحشيشة علنا ، وتعاطي البغاء وما شابه ، مما أثار قطاعات واسعة من الناس بشكل ملموس• وقد

---

(٣٨) م• و• و• ، الملف
. 67/17 (Sulaimaniyah, Scarcity: 1918)

(٣٩) راجع : « العرب » ، ٣ ايار ١٩١٩ •

ذهب أحد المؤرخين الاكراد الى القول ان البادينى (٤٠) ظل «متمسكا بتقاليده السامية وعاداته العالية ، وسجاياه الحميدة الى أيام الاحتلال الانكليزي سنة ١٩١٨ ، حيث بدأت الرذائل والاخلاق الفاسدة تتسرب الى هذه البلاد شيئا فشيئا ، وتدب بين أهاليها تدريجيا ، لاسيما بعد أن دخل المسلمون البادينانيون الجيش الانكليزي الليفي (٤١) ...»(٤٢) .

تكررت في كردستان نفس صورة التعنت والتعالي للحكام والضباط السياسيين الانكليز الذين اثاروا بتصرفاتهم استياء مختلف الفئات الاجتماعية في الوسط والجنوب (٤٣) . فاذا كان رجال حاكم النجف السياسي كرينهاوس (Greenhouse) يستعملون السوط حينما كان يمر لفتح الطريق أمامه ، فان زميله الميجر سون كان يعيد

(٤٠) نسبة الى سكان منطقة بادينان الممتدة الى الشمال من الموصل .

(٤١) « الليفي » (Levy) اي المجندون ، قوة عسكرية شكلتها السلطات البريطانية لتحل محل قواتها العاملة في العراق وذلك بهدف تقليص مصروفاتها العسكرية في البلاد . كان من المقرر ان يكون ضباطها من الانكليز وجنودها من السكان المحليين .

(٤٢) أنور المائي ، الاكراد في بهدينان ، الموصل ، ١٩٦٠ ، ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .

(٤٣) لا يزال المسنون في العديد من المناطق يتذكرون جيدا ما اتبع المسؤولون الانكليز من أساليب فظة في تعاملهم مع الناس . يقول الفلاح خفيف حلالي من الوركاء والبالغ من العمر حوالي ٩٠ عاما ، ان « الانكليز صاروا كالذئاب التي تنهش الناس لذنب ارتكبوه او بدون ذنب» (رجاء أحمد، بحث ميداني عن « ثورة العشرين ») .

الشيء نفسه بفظاظة أكبر في السليمانية ، ويفرض غرامات يومية على عدد من الناس البسطاء بحجج واهية ، بل كان يجبر الجميع على أن يرفعوا فروض الطاعة لاصغر موظف لديه • فكان مساعده عزيز خان الحاكم بأمره ، يتصرف كما يشاء بخشونة وتعال غدا حديث أهل المدينة (٤٤) ، كما كان يستغل منصبه لجني اكبر الارباح غير المشروعة الممكنة • ووصولا لهدفه ابتدع عزيز خان هذا اساليب لم يألفها سكان السليمانية ، من قبيل بيع حاجة ما بواسطة اليانصيب (٤٥) ليحصل عن طريقه على أضعاف ثمنها الحقيقي •

جعلت تصرفات الميجرسون ومساعده عزيز خان من مدينة السليمانية تغلي غيظا ، حسبما يروي رفيق حلمي في مذكراته (٤٦) • وقد اضطر العديد من الوطنيين الكرد الى ترك مناطقهم تحت ضغط

---

(٤٤) من الجدير بالذكر ان عزيز خان هذا كان اميا ، لايعرف القراءة والكتابة • عن تصرفاته وصداها بين الناس راجع : رفيق حلمي ، المصدر السابق ، الجزء الثاني ، بغداد ، ١٩٥٦ ، ص ١٠٧ـ١٠٨ •

(٤٥) راجع : «بيشكەوتن» ، ٦ ايار ١٩٢٠ •

(٤٦) رفيق حلمي ، المصدر السابق ، الجزء الثاني ، ص ١٠٧ ـ ١٠٩ • عن تصرفات الميجر سون راجع كذلك : « خەباتي كەلي كورد لە يادداشتەكاني (ئەحمەد تەقي)دا • لاپەرەيەك لە شورشەكاني شيخ مەحمود وسمكو وهەستانەكەی رەواندز ، ريكخستن وئامادە كردني بو چاپ : جەلال تەقي ، بەغدا ، ١٩٧٠ ، ل ٢٥ ـ ٢٦ ، ٣٤ ـ ٣٥ (نضال الشعب الكردي في مذكرات احمد تقي • صفحة من ثورات الشيخ محمود وسمكو وانتفاضة رواندوز ، اعداد جلال تقي ، بغداد ، ١٩٧٠ ، ص ٢٥ ـ ٢٦ ، ٣٤ ـ ٣٥) •

سون ، واللجوء الى مناطق اخرى ، منهم الوطني المعروف محمـــود جودت (٤٧) • ومن الطريف أن نشير هنا الى انه لم يمض وقـت طويل عندما الحق كرينهاوس نفسه بالميجر سون ليصبح مساعدا لـه في الادارة والفظاظة معا • وقد امتدت اثار الاخيرة لتشمل شـــخص الشيخ محمود (٤٨) • ولم تكن تصرفات الكابتن وايلي في العماديـة بأحسن من ذلك ، مما كان له وقع مشابه على سكان هذه المنطقة(٤٩)• وكما يروي معاصرو تلك المرحلة زاول جنود الليفي في منطقة بادينان صنوف المظالم باسم «الانتقام من البادينيين» مما ولد في نفوسهم « كثيرا من العداوة والكره والسخط » (٥٠) •

وقد ورد في تقرير لـ « جمعية العهد ـ فرع الموصل » رفعتـه في ١٤ اب ١٩١٩ الى المركز ، مايلي تعقيبا على الاعتداء الذي تعرض له احد الشيوخ النقشبنديين مع افراد اسرته : « نكتب اليكم هذا ونحن على أشد مانكون من القلق على هؤلاء الشيوخ ••• فلم يتورع الانكليز عن المضي في اذلال كل عزيز والتنكيل بكل رئيس لاينقاد اليهم انقيادا أعمى، أو لاينصاع الى أوامرهم كما يروق لهم ، وهم في الوقت نفسه

(٤٧) راجع : « نضال الشعب الكـردي في مـذكرات احمد تقي » ، ص ٤٨ •

(٤٨) نفس المصدر ، ص ١٥ •

(٤٩) راجع : عبد المنعم الغلامي ، ثورتنا في شمال العراق (١٣٣٧ ـ ١٣٣٨ هـ ، ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ م) ، الجزء الاول ، بغداد ، ١٩٦٦ ، ص ٤٢ •

(٥٠) راجع : انور المائي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ •

لايريدون أن يروا ذا نفوذ لايستطيعون استغلاله لمآربهم وان كان ذلك النفوذ معنويا أو روحيا، كما هو النفوذ الذي يتمتع به حضرة الشيخ بهاءالدين افندي النقشبندي » (٥١) .

ولم يمر اكثر من اسبوعين عندما أخبرت الجمعية مركزها بما يلي : « أوقف الانكليز قبل مدة سعيد اغا وابنه وبعض رفقائه فيأربيل لقتلهم شاويشا انكليزيا وجرح شرطيين أحدهما انكليزي والاخر عراقي مستخدم عند الانكليز واثنين من الدرك ، كما جرح بضعة أفراد من رجال سعيداغا ايضا وذلك بسبب الضرب والاهانة التي الحقها ذلك الجاويش بأبن سعيد اغا عندما كان جالسا في التياترو قبل وقوع الحادثة بيوم » (٥٢) .

وبامكان وثيقة اخرى تعود للجمعية نفسها اعطاء ابلغ صورة عن واقع تصرفات الحكام الانكليز مع الناس في المنطقة الكردية . جاء في الوثيقة المذكورة التي تحمل تاريخ ٨ تشرين الثاني ١٩١٩ مايلي نصا:

« لم تترك الحكومة الاحتلالية شيئا من انواع الشدة والقسوة الا واستعملته مع الاهلين ، وان ادنى خطأ يصدر من أحد الناس يكون جزاؤه الضرب على عجزه مجردا عن الثياب حتى ان الدم كثيرا ماكان

---

(٥١) راجع : «صدى الاحرار» ، الموصل ١٣ شباط ١٩٥٣ . نشر أحد معاصري تلك الفترة سلسلة مقالات مهمة في جريدة « صدى الاحرار » باسم مؤرخ ، يخص جانب كبير من المعلومات الواردة فيها احداث كردستان .

(٥٢) راجع : « صدى الاحرار » ، ٢٠ شباط ١٩٥٣ .

يتطاير من جسده وتبقى مواضع السياط قروحا لاتندمل مدة طويلة • أما الجزاء النقدي الذي قد شكل أعظم منبع لواردات حكومة الاحتلال فان المحكومين يعدونه نعمة كبرى ازاء العذاب الجسماني والحقارة التي توجه اليهم بتشغيلهم بالاشغال السافلة • ويااليت جميع المجرمين في نظر الانكليز هم مجرمون حقا ! ، فكم من اناس ذاقوا عذاب السجن مدة طويلة من دون أن يوقف لهم على ذنب ولم تحكمهم محكمة • من ذلك سجنهم لثمانية عشر رجلا من الكويان (٥٣) من الذين لم يكن لهم علاقة بوقائع الجبال ، انما كانوا مقيمين في الموصل منذ مدة ويشتغلون بمهنة الحمالة ، ولم يطلق سراحهم الا بعد ان نقل الحاكم السياسي الكولونيل لجمن من الموصل الى منطقة الدليم وحل محله الكابتن بيل » (٥٤) •

والواقع ان مثل هذه التصرفات التي عانى منها الشمال مثل الوسط والاخير مثل الجنوب هي التي دفعت جريدة «الفرات» لتكتب عن الانكليز في افتتاحيتها « ضلال الانكليز ونظرة في مجلس المبعوثين » مثل الاقوال الجارحة التالية :

« شاهدنا قوما ليسوا من البشر افسدوا البلاد واضطهدوا العباد وسحقوا القوانين العامة وهتكوا حرمة الشرايع الموضوعة وهدموا دعائم

---

(٥٣) عشيرة كردية تقطن في شمال زاخو ، وهي اول جماعة حملت السلاح ضد الانكليز في كردستان كما نعود الى تفاصيله فيما بعد •

(٥٤) « صدى الاحرار » ، ٣ نيسان ١٩٥٤ •

النظام الاجتماعي الجديد ••• قلب صفحات التاريخ القديم والحديث فلا تجد سوى الانكليز افسدوا النظام واسقطوا حقوق الانسان ، فلا حرية ولاطمأنينة ، ونزعوا الملكية وهي من حقوق الانسان المقدسة لانها من لوازم الحرية والمساواة ، نعم فهم كما اسقطوا حقوق الانسان المدنية اسقطوا حقوقه السياسية ، فعاد ولا حق له ، محروما من كل مميزاته ، محروما من عمومياته وذاتياته » • فان حكومة الاحتلال شاءت « ان ترينا كل يوم نوعا جديدا من الباطل » •

وبعد أن تستعرض الجريدة في مقال آخر تحت عنوان « مكر الانكليز في العراق » « جور الانكليز واعتسافهم » تقول : « هنا تظهر الحرية باجلى مظاهرها ، فسلام على القرون الوسطى والاجيال الفرعونية ، وصلوات على جنكيزخان وتيمور وامم الهون ! اللهم انك تعلم انهم أرق عاطفة وأحسن قلبا من قساة الانكليز وبرابرتهم»(٥٥)•

وقد بينت «الفرات» قبل ذلك لماذا طفح الكيل ، وبلغ الاستياء مبلغه ، فقد « اشتد الظلم حتى بلغ منتهاه ونفد صبر الامة مما تلاقيه كل يوم من جور حكام الاحتلال » (٥٦) •

ولم يكن الوضع الثقافي البائس في المناطق الكردية سوى صورة مصغرة لما كان يسود بقية أرجاء البلاد • فان الانكليز خصصوا

---

(٥٥) «الفرات» ، العدد الرابع ، ١٣ ذي الحجة ١٣٣٨ (٢٨ اب ١٩٢٠) •

(٥٦) « الفرات » ، العدد الثاني ، ٢٨ ذي القعدة ١٣٣٨ (١٤ اب ١٩٢٠) •

لاحتياجات التعليم في كل العراق خلال السنة المالية ١٩١٩ ــ ١٩٢٠ مبلغا يعادل حوالي ٧٠ ألف ليرة تركية ، أي أقل من ضعف ماخصصه العثمانيون لولاية بغداد وحدها في العام ١٩١١ ــ ١٩١٢ ، مما أدى الى أن يتقلص عدد المدارس الرسمية والاهلية في البلاد الى نصف عددها في العام ١٩١٤ . لذا لاغرابة في أن سلطات الاحتلال اغلقت في مدينة الموصل مدرسة لاعداد المعلمين واخرى ثانوية ، مع عدد من المدارس الابتدائية تعود الى العهد العثماني (٥٧) بحجة « فقدان المعلمين القديرين » (٥٨) .

وبامكان بعض الامثلة المستقاة من المنطقة الكردية تجسيد هذا الواقع المزري بشكل معبر للغاية . فان الميجر سون كان يصرف على التعليم لكل منطقة السليمانية ومن وارداتها بالذات ٦٣ ألف روبية سنويا ، وهي أقل مما خصصه للقوات الخاصة والشرطة اللتين اسسهما بمقدار حوالي ٢٠ مرة (٥٩) ، ويعادل حوالي ٢٪ فقط من مجموع واردات المنطقة للعام ١٩٢٠ (٦٠) . لذا ليس من الغريب أبدا أن

---

(٥٧) راجع : «صدى الاحرار» ، ٣ نيسان ١٩٥٣ .

(٥٨) راجع : « العرب » ، ٣ ايار ١٩١٩ . اننا لا نقصد من هذه المقارنات القول بان وضع التعليم في العهد العثماني كان جيدا ، انما نريد ان نبين ان الوضع انتقل من سيء الى أسوأ ، على الاقل بعد الحرب مباشرة ، مما تحول الى عامل استياء ، وذلك بغض النظر عن أسبابه .

(٥٩) خصص سون لهما اكثر من مليون روبية .

(٦٠) راجع التقرير السنوي عن واردات السليمانية فى « بيشكه‌وتن» ، ٢٣ كانون الاول ١٩٢٠ .

نلاحظ اللوحة «المعبرة» التالية : في العام ١٩١٥ شكل عدد الطلاب في مدينة السليمانية وحدها ١٠٪ من مجموع الطلبة في كل العراق ، بينما لم يبلغ مجموع طلبة المنطقة الكردية بأسرها عددا يشكل مثل هـذه النسبة بعد الاحتلال • فبعد الحرب فتح الانكليز مدرسة واحدة فقط في السليمانية ، وذلك في شباط ١٩١٩ (٦١) ، بينما بلغ عدد مدارسها الحكومية في أواخر العهد العثماني مدرستين ابتدائيتين ومدرســة اعدادية واحدة مع « الرشدية العسكرية » ، بلغ مجموع طلابها ٣٣٠ طالبا يقوم بتدريسهم ٢٠ معلما (٦٢) • وقد تقلص عدد طلاب الدراسة المتوسطة في المدينة نفسها من ١٦٣ في العام ١٩١٤ الى ١٠ فقط في أواخر العشرينيات • و «الابلغ» من ذلك ان مجموع عدد الطلاب في المدارس الكردية بلغ في ظل الانتداب ١٥٤٥ طالبا فقط يقابلهم ٦٣٠٠ طالب في المدارس المسيحية و ٨٤٠٠ طالب في المدارس اليهودية (٦٣) •

---

(٦١) راجع : « العراق » ، ٣ ايار ١٩١٩ •

(٦٢) راجع : محمد أمين زكي ، تأريخ السليمانية وانحائها ، ترجمة محمد جميل بندي الروژبياني ، بغداد ، ١٩٥١ ، ص ٢١٠ •

(٦٣) جرى حساب هذه الارقام بالاستناد الى المعلومات الواردة في : عبد الرزاق الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ، ١٦٣٨ ـ ١٩١٧ ، بغـداد ، ١٩٥٩ ، ص ١٨١ ؛ محمد أمين زكي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ ـ ٢١٠ ؛ « العالم العربي » بغداد ، ٢٠ كانون الثاني ١٩٣١ ؛ رفيـق حلمي ، مقـالات ، بغداد . ١٩٥٦ ، ص ٧١ ؛

((Special Report by His Majesty's Government in the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the League of Nations on

=

توجد مجموعة عوامل اخرى اسهمت بشكل جدي في تهيئة الظروف الموضوعية لانفجار «ثورة العشرين» ، والتي كانت ذات طابع عام من حيث تاثيرها على العراقيين • وياتي الشعور الديني على راس تلك العوامل قاطبة • بل ان دوره في اثارة الناس كان كبيرا الى حد دفع معظم المؤرخين العراقيين الى اعتباره العامل الاول في تاجيج نار التمرد ضد الاحتلال الاجنبي في نفوس الجماهير • وفي الواقع ان العديد من مسؤولي الانكليز اساءوا التصرف في تعاملهم مع رجال الدين ونظرتهم الى العتبات المقدسة في البلاد والتي امتدت ايديهم حتى الى مواردها المالية • ولقد ورد في تعليق لجريدة «الفرات» على موقف المحتلين من القضايا الدينية ما يلي :

« أي دولة حرة قبل انكلترا منعت انعقاد المواليد الدينية ، وأي رؤساء ادارة أو سياسة أو جندية تجاسروا قبل قواد الانكليز هؤلاء على خرق حرمة هذا القانون المتبع • وهب ان في رجال السياسة او الادارة أو الجندية نفوسا جبلت على الوحشية فهي تميل الى العبث بالقوانين الحرة العامة ، فمن الصلف ان تدعي المدنية مع ذلك ••• » (٦٤) •

=

the progress of Iraq during the period 1920 — 1931)), London, 1931, PP. 232 — 234; ((Report by His Majesty's Government on the administration of Iraq for the period April 1923 — December 1923)) PP. 201, 217.

(٦٤) « الفرات» ، العدد الرابع ، ١٣ ذي الحجة ١٣٣٨ (٢٨ اب ١٩٢٠) • حوالي نصف صفحات هذا العدد من الجريدة كرس لهذا الموضوع بالذات •

وفي الواقع تركت فتاوى رجال الدين وتعليماتهم تأثيرا أكبر على بسطاء الناس من اي عامل روحي او ادبي اخر ، ولاسيما انها جاءت في توافق مع مهمات المرحلة التاريخية . وليس مجرد صدفة ان كل الذين استجوبوا في السماوة اكدوا بشكل خاص على تأثير العاطفة الدينية الكبير في دفعهم الى حمل السلاح ضد سلطة الاحتلال. وقد اعتبر معظمهم الانكليز كفارا ، كما ذكر بعضهم صراحة انهم « ماكانوا يفهمون معنى الاستقلال يومذاك » ، لكنهم اعتبروا « الجهاد ضد الانكليز واجبا » لكونهم « أجانب وكفارا » (٦٥) .

ومع ان فتاوى رجال الدين لم تكن تصل ـ حسب معلوماتنا(٦٦)ـ الى المناطق الكردية ، الا ان الشعور الديني لعب هنا ايضا دوره الكبير في اثارة الناس ضد الانكليز . ثم ان رجال الدين الاكراد انفسهم لم يكن لهم دور قليل في هذا المجال ، فقد اشترك عدد كبير منهم بحماس في النضال المعادي للاستعمار سواء في العشرينيات أو بعدها . وأخيرا لم تكن معظم اجراءات الانكليز تجاه القضايا الدينية بخافية على الاكراد . فان جريدة «پيشكه‌وتن» ، مثلا ، نشرت القرارات التي اتخذتها ادارة الاحتلال في بغداد بصدد منع عقد الاجتماعات الدينية وتشكيل محكمة عسكرية خاصة « لانزال أشد العقوبات بحق

---

(٦٥) القول لبادي علوان (كاسب وعامل سابق) ، في حدود الخامسة والثمانين من العمر (رجاء أحمد ، بحث ميداني عن « ثورة العشرين ») .

(٦٦) استفسرنا العديد من الجيل السابق عنها .

كل مخالف » لتلك القرارات • ثم نشرت تحت الخبر ، وعن قصد واضح ، نبأ « اصدار المحكمة العسكرية حكم الموت بحق أربعة أشخاص من المفسدين الذين نفذ فيهم الحكم » (٦٧) •

لم تكن « ثورة العشرين » من الاحداث التأريخية التي يمكن حصرها في اطار داخلي ضيق • ولاشك في أن أي محاولة من هذا القبيل (٦٨) تعتبر تجنيا على الثورة نفسها لا لانها تتعارض كليا مع المنطق حسب ، بل وكذلك لانها تنافي كل المألوف في تأريخ الشعوب• فان «ثورة العشرين» ، وفي ضوء قانون الترابط الافقي بين الاحداث ، تأثرت بأحداث خارجية وأثرت في احداث خارجية بدرجات متفاوتة حتمتها ظروف الزمان والمكان • وكان من الطبيعي ان تتأثر الثورة على الصعيد الخارجي بأحداث المنطقة نفسها (الحجاز ، سوريا ، مصر ، تركيا وايران) قبل أي شيء آخر • وتأتي بعد ذلك تأثيرات اخرى ، وعلى رأسها انتصار اول ثورة اشتراكية في العالم •

وقبل الخوض في صلب الموضوع يجدر بنا ان نشير الى أن التأثيرات المتبادلة بين الوقائع التأريخية الكبيرة المعاصرة لاتحتاج ، بالضرورة ، الى شواهد مادية ملموسة، فانها قد تفعل فعلها بصورة غير مباشرة ، أو عن طريق التأثير في تناسب القوى على صعيد منطقة

---

(٦٧) « بيشكه‌وتن » ، ١٩ اب ١٩٢٠ •

(٦٨) راجع مثلا : ستار جبر ناصر ، المصدر السابق ، ص ٧٤–٨٥؛ الراصد التقدمي ، ثورة العشرين • البعد القومي والاهداف الوطنية ، — « العراق » ، ٢٩ حزيران ١٩٧٨ •

محددة أو شاملة • ولتقريب الموضوع الى الاذهان أكثر نورد مثلا واحدا له صلة بثورة العشرين نفسها • فان الاخيرة أثرت حتما على الحركة الوطنية في ايران ، وربما لاتتوفر أدلة مادية تبين هذه الحقيقة التأريخية على شكل صورة محددة الابعاد • ولكن الا يكفي أن اضطرار الانكليز الى سحب ما لا يقل عن ١٤ ألف رجل من قطعاتهم العاملة في ايران قد سهل الى حد ما مهمة الحركة الوطنية للشعب الايراني الذي كان يخوض نضالا عادلا ضد المعاهدة الانكلو ـ ايرانية للعام ١٩١٩ (٦٩) ، وان ذلك اثر على موقف الانكليز بشكل أو بآخر • وحتما ان المئات من الزوار الايرانيين كانوا ينقلون معهم مايشاهدون من مظاهر الاستياء السائدة في العتبات المقدسة •

ولكن بغض النظر عن هذه الحقيقة الثابتة فان سجل « ثورة العشرين » ، والحركة الوطنية العراقية في تلك المرحلة ككل ، مليء بالشواهد والوثائق التي تجعل من أمر تاثر قطاع مؤثر من الوطنيين العراقيين بالاحداث والمتغيرات العالمية حقيقة مسلمة • فقد ذكرت جريدة «الفرات» ، لسان حال الثوار ، في عددها الاول مايشير الى

---

(٦٩) وقعت هذه المعاهدة بين الطرفين في طهران يوم ٩ اب ١٩١٩ عندما كان وثوق الدولة ، المعروف بموالاته للانكليز ، رئيسا للوزارة الايرانية • وقد أثارت بنودها استياء شعبيا عاما انعكس في موجة من المظاهرات والانتفاضات بلغت اوجها في العام ١٩٢٠ ، ولا سيما في المناطق الاذربيجانية ، وقد بذل الانكليز جهودا كبيرة للقضاء على المعارضة الوطنية الايرانية •

ذلك بشكل لالبس فيه • كتبت «الفرات» تقول : « لم تبق أمة ذاقت طعم الحكم الاستعماري الا وقد انتفضت وانقضت عليه ، فتخلصت أمة وبقيت أخرى تدافع عن حياتها وتطالب باثبات صفاتها » (٧٠) • وفي عددها الثاني تقر الجريدة ان « الثورة العراقية (٧١) تشبه اختها الثورة الايرلندية والمصرية من كل الوجوه » (٧٢) • وكما يروي الدكتور محمد مهدي البصير الذي كان من انشط دعاة الثورة في بغداد والذي تأثر بخطبه (٧٣) حتى عدد من المثقفين الاكراد (٧٤) ، ان أحداث الانتفاضة المصرية التي كانت تصل بشكل خاص عن طريق جريدة «العقاب» السورية ، قد غدت حديث الخاص والعام في العراق بشكل قلما خلا مجلس من ذكرها (٧٥) •

كان لاحداث الحجاز وسوريا تأثير اكبر على الوضع العام في

---

(٧٠) « الفرات » ، العدد الاول ، ٢١ ذي القعدة ١٣٣٨ (٧ اب ١٩٢٠) •

(٧١) القصد هو « ثورة العشرين » •

(٧٢) « الفرات » ، العدد الثامن ، ٢٨ ذي القعدة ١٣٣٨ (١٤ اب ١٩٢٠) • يؤكد محمد طاهر العمري الذي عاصر الحركة الوطنية العراقية في العشرينيات واشترك فيها ، ان العراقيين تأثروا بالانتفاضة المصرية العامة التي قادها سعد زغلول في العام ١٩١٩ ، (محمد طاهر العمري ، تاريخ مقدرات العراق السياسية ، الجزء الثالث ، بغداد ، ١٩٢٥ ، ص ٩٩) •

(٧٣) كان المثقفون يشبهونه بميرابو خطيب الثورة الفرنسية •

(٧٤) يشير رفيق حلمي في مذكراته بشكل مؤثر الى ماتركته خطب وقصائد الدكتور البصير في جامع الحيدرخانة ايام الثورة من انطباع عميق في نفسه (راجع : رفيق حلمي ، المصدر السابق ، الجزء الثالث ، بغداد ، ١٩٥٦ ، ص ٨١ ـ ٨٤) •

(٧٥) محمد مهدي البصير ، المصدر السابق ، الجزء الاول ، ص ٧٧ •

العراق » ولاسيما أن العديد من العراقيين الذين اندمجوا بالحركة السياسة قبل الحرب اجتمعوا في سوريا وتعاونوا مع الامير فيصل هناك ، وعقدوا في اذار ١٩٢٠ مؤتمرا عراقيا على غرار «المؤتمر السوري » ، واجروا بعض الاتصالات مع الاوساط الوطنية داخل العراق ، وعرضوا مشاكل البلاد السياسيه على الدول الكبرى عن طريق ممثليها في المنطقة • وكانت احداث نضال الشعب السوري ضد المستعمرين الفرنسيين تتسرب الى العراق بشتى السبل (٧٦) ، خاصة وان الانكليز انفسهم كانوا يرغبون في ان تجري الامور هناك بشكل يؤدي الى حصر النفوذ الفرنسي الى اقصى حد ممكن ، لذا كانوا يغضون الطرف عن انتشار انباء مظالم الفرنسيين ومقاومة السوريين لها • وكان العهديون في الموصل يشكلون حلقة وصل بين العراقيين والسوريين، فأولوا نقل النشرات والجرائد السورية الى العراق اهتماما خاصا ، كما كانوا ينقلون بدورهم اخبار العراق ، بما في ذلك الانتفاضات الكردية ، الى سوريا (٧٧) •

---

(٧٦) كانت جريدة « العقاب » السوريه تصل الى مناطق مختلفة من العراق ، وكانت متفائلة بشكل عاطفي في عرضها للاحداث وتوقعاتها للمستقبل . مما ترك اثرا واضحا على الوسط المثقف العراقي ، حيث كان « يقوم الملا بقراءة الجريدة فيصغي اليه الحاضرون ، ويعلقون عليها » (راجع : الدكتور علي الوردي ، المصدر السابق ، الجزء الخامس ، القسم الاول ، ص٤٦) •

(٧٧) للتفصيل راجع سلسلة المقالات المنشورة بقلم « مؤرخ » في جريدة « صدى الاحرار »الموصلية التي وردت الاشارة اليها في هوامش هذا الكتاب • عن الرسالة والنشرات راجع كذلك :ـ
Gh. R. Atiyyah, Iraq 1908—1921. A political study, Beirut, 1973, P. 329.

تركت الحركة الوطنية بقيادة مصطفى كمال في تركيا تأثيرا ملموسا على مختلف الاوساط السياسية في العراق • وبحكم جملة من العوامل ، منها القرب الجغرافي واهتمام الكماليين بولاية الموصل، كان تعبير هذا التأثير اكثر وضوحا في المنطقة الشمالية • فقد ظهرت بين المثقفين ورؤساء العشائر الكرد ، مثلا ، فئة نشطة أطلق المعادون على أفرادها اسم « ذوي الملابس المعوجة » • وقد دفعت تصرفات الانكليز بعدد كبير من الوطنيين الاكراد الى اقامة اتصالات مباشرة مع الكماليين ، تعود بداياتها الى العام ١٩٢٠ بالذات (٧٨) • ومن الجدير بالذكر ان نشرات الكماليين كانت تصل المنطقة الكردية بسهولة ، وان بعضا منها كان يدبج خصيصا لمخاطبة المشاعر الكردية في العراق ولحمل الناس على اعلان « الجهاد المقدس » ضد الانكليز (٧٩) • وقد أشار حاكم كركوك لونكريك الى ان محتوى افكار الاستقلال التي كانت تتسرب في بداية العشرينات من تخوم تركيا الى كردستان قد تغيرت كثيرا ، وارجع سبب ذلك الى « أعمال البلاشفة » (٨٠) •

---

(٧٨) راجع : « نضال الشعب الكردي في مذكرات احمد تقي » ، ص ٤٥ ـ ٥٠ ؛ المس بيل ، فصول من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر خياط ، بيروت ، ١٩٤٩ ، ص ١١٦ •

(٧٩) راجع نص ماورد في بيان من هذا القبيل في

C. J. Edmonds, Op. Cit., P. 246

(٨٠)

S. H. Longrigg, Iraq 1900 to 1950. A political, social and economic history, London, 1953, P. 101.

لم تبق هذه النشاطات دون نتائج ملموسة • فقد ورد في تقرير رفعته « جمعية العهد ـ فرع الموصل » الى المركز في ٨ تشرين الثاني ١٩١٩ عن الاوضاع العامة في ولاية الموصل انه اذا كان هناك «نوع من الامل في الخلاص من الانكليز عند الكثير من الناس فانما يتوقعونه من مصطفى كمال ، حيث ان لهذا القائد اسما كبيرا في هذا البلد »(٨١) • وقد دفع ذلك بالانكليز وانصارهم الى شن حملة دعاية واسعة ضد الحركة الكمالية ، انعكست آثارها على صفحات جريدة «پيشكەوتن» كذلك (٨٢) •

وفيما يخص « ثورة العشرين » نفسها فانه تتوفر وثائق ومعلومات مختلفة تبين ان الحركة الكمالية التي جابهت عن جدارة جيوش مجموعة كبيرة من الدول الاستعمارية ، على رأسها انكلترا (٨٣) ، تركت بصماتها واضحة على فكر المثقفين العراقيين • فقد تتبعت جرائد الثورة، بالرغم من ضعف امكاناتها ، اخبار الحركة الكمالية على صفحاتها(٨٤)•

---

(٨١) راجع : « صدى الاحرار » ، ٣ نيسان ١٩٥٣ •

(٨٢) راجع مثلا : « بيشكەوتن » ، ١٣ ايار و ١٩ اب و ٤ تشرين الثاني ١٩٢٠ •

(٨٣) بلغ عدد جنود وضباط الاحتلال البريطاني في تركيا عام ١٩١٩ اكثر من ٤١ ألف شخص ، وبلغ عدد القوات الفرنسية حوالي ٤٩ ألف والايطالية ١٧ ألف ، وبعد فترة دخلت قوات يونانية كبيرة البلاد ، كما رابطت في مياهها الاقليمية أساطيل انكليزية وفرنسية وامريكية ويونانية وايطالية كبيرة• وكان من الطبيعي ان يلفت النضال الناجح ضد هذه الجيوش الجرارة نظر الجميع •

(٨٤) راجع مثلا «الفرات» ، العدد الثاني ، ٢٨ ذي القعدة ١٣٣٨ (١٤ اب ١٩٢٠) •

وفي التقارير السرية البريطانية التي تعود الى الفترة التي سبقت انفجار الثورة ما يشير الى تأثر علماء النجف وكربلاء بالدعاية الكمالية(٨٥)• كما توجد اشارات الى اتصال ضباط عراقيين بالمسؤولين الكماليين في بعض المدن القريبة من الحدود العراقية والسورية(٨٦)•وقد جاء التعبير عن تأثر فئات سياسية عراقية معينة بالحركة الوطنية في تركيا دقيقا في وثيقة للعهد الموصلي تؤكد ان « اتحاد العرب والترك » يشكل « قوة اسلامية لايستهان بها ، تحيي الامل في قلوب كافة المسلمين الذين قد بلغت ارواحهم الحناجر من ضغط المستعمرين » (٨٧) • ومن المهم ان نشير الى ان بعض المناشير التي وزعت في بغداد أيام الثورة أشارت صراحة الى اسم مصطفى كمال • فقد ورد في أحداها : « ان عالم الاسلام كله أجمع اتحد على كلمة واحدة واعلن الجهاد على جميع دول الحلفاء ، فان تحت قيادة مصطفى كمال باشا اكثر من مائة ألف مجاهد وهم فائزون بالظفر والخير على العدو في جميع الانحاء » • كما ورد في منشور آخر ان « مصطفى كمال باشا » قد أرسل « قوة عظيمة الى دير الزور من نصيبين والى الموصل أيضا » •

يستحق موضوع تأثير ثورة اكتوبر الاشتراكية وقفة خاصة لان الامر لايزال يكتنفه بعض الغموض ويدور حوله النقاش والخلاف في التقييم ، ولان ماعرضته في بعض المناسبات بصدده قد أثار رأيين متناقضين كل التناقض ، أحدهما الصق بي « التغني العاطفي » بثورة

---

(٨٥) راجع : Gh. R. Atiyyah, Op. Cit., PP. 329—330

(٨٦) علي آل بازركان ، المصدر السابق ، ص١٨٥ •

(٨٧) راجع : « صدى الاحرار » ، ٣ نيسان ١٩٥٣ •

اكتوبر ، والآخر اتهمني بمحاولة تقليل أهمية تأثيرها (٨٨) •

قبل كل شيء لم يكن في وسع كل أسوار العالم حصر دوي الانفجارة غير الاعتيادية شكلا ومضمونا داخل ابراج الكرملين • فقد بدأ الناس في مشارق الارض ومغاربها يتحدثون عنها ، سلبا او ايجابا ،

---

(٨٨) عندما نشرت بحثا عن « مؤتمر شعب الشرق» الذي انعقد بمدينة باكو في أيلول ١٩٢٠ (راجع « افاق عربية » العدد ١٢ ، اب ١٩٧٦ ، ص ٨٦ ـ ٩٧) اتهمني « قارئ » في تعقيب له ب « التغني العاطفي» (راجع : « افاق عربية » ، العدد الثالث ، ١٩٧٦ ، ص ١٥٥ ـ ١٥٧) ، فجاء ردي عليه في مجلة « الثقافة » (بغداد ، العدد الاول ، ١٩٧٨ ، ص ٥٢ـ٦٠) •
وعندما نشرت كتابي « ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي» أخذت علي الزميلة الدكتورة صبيحة الخطيب في تقريضها عن الكتاب (راجع : « طريق الشعب » ، بغداد ، ٢٨ تشرين الثاني ١٩٧٧) قولي انه مهما كان تأثير ثورة اكتوبر « كبيرا في اطار الترابط الافقي بين الاحداث التأريخية فانه لم يبلغ حد ان تتوجه « الشخصية الدينية والسياسية المعروفة الخالصي » الى « صورة لينين » قائلا : « ان الشرق الذي ايقظته ينتظر الفرصة لكي يحقق افكار حياتك حول اتحاد شعوب الشرق ، حول حق كل انسان ، بله كل شعب ، كبيره او صغيره ، متحضره أو متأخره ، في الحياة والاستقلال » • وقد بينت الحجج التي تثبت ما ذهبت اليه (للتفصيل راجع ص ٨٠ ـ ٨٥ من كتاب « ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي ») وهو ، حسبما اعتقد ، امر واضح لا يحتاج الى جدل ، وهو لا يمكن ان يقلل من الاهمية البالغة لثورة اكتوبر التي لا يصح تقييمها الا من خلال الوقائع المادية المنطقية والملموسة التي لايستطيع انكارها حتى دهاقنة الاستعمار والرجعية • وقد حاولت ان القي هنا من جديد اضواء اخرى على تأثيرات هذه الثورة وذلك بالاستناد الى مجموعة من الحقائق المقنعة •

كل حسب انتمائه الفكري والاجتماعي • وبين أيدينا اكثر من دليـل مقنع يبين ان الشعب العراقي لم يختلف ، في اطار ظروفه الخـاصة ، عن الشعوب الاخرى في هذا المجال • ولنستهل الموضـوع بعـرض بعض الامثلة عن المنطقة الكردية (٨٩) •

ورد في تقرير سري لحاكم مدينة السليمانية الميجر سون بعثه في العام ١٩١٩ الى وكيل الحاكم العام في بغداد ارنولد ولسـن حـول الوضع في منطقته «ان اسم البلشفيةوعقائدها أصبحت معروفة هنا لسوء الحظ » (٩٠) • كما يؤكد اسماعيل حقي شاويس ، السياسي المعـاصر

---

(٨٩) للتفصيل حول هذا الموضوع راجع : د• كمال مظهر احمد ، ئوكتوبەرو مەسەلەی کورد ، ـ « برايەتي » ، بەغدا ، ژمارە ٩ ، سالی١ ، خولی دووەم ، سەرەتای کانونی یەکەمی ١٩٧٠ ، ل ٤ ـ ١٢ (راجع تعريب المقال ـ اكتوبر والمسالة الكردية ـ للاستاذ محمد الملا عبدالكريم المدرس في مجلة «الثقافة الجديدة» ، بغداد ، العدد التاسع والعشرون ، تشرين الاول ١٩٧١ ، ص ١٥٢ ـ ١٦٩) •

(٩٠) راجع :

A. T. Wilson, Mesopotamia 1917—1920, P. 145

ولذلك فان سون ، كما سنرى ، اولى موضوع الدعاية ضد البلشفية اهتماما خاصا في الجريدة التي أصدرها في السليمانية• ولكن ما يجلب النظر في قول سون الانف الذكر هو تأكيده على ان هذه الافكار كانت تنتشر بين سكان السليمانية عن طريق « جريدة كركوك » بشكل خاص•والمعروف ان الصحيفة الوحيدة التي كانت تصدر انذاك في كركوك هي « نجمة كركوك » ، وهي كانت حكومية صغيرة الحجم (٢٩ × ١١ سم) ، بدأ حاكم المدينة لونكريك بنشرها اعتبارا من ١١ربيع الاول ١٣٣٧ ، ١٥ كانون الاول ١٩١٨ ، ولم يتغير اسمها الى «كركوك» لغاية تشرين

لتلك المرحلة ، ان « الشباب الكردي المثقف كان مطلعا بما فيه الكفاية على تفاصيل الحدث الثوري الذي وقع في روسيا ، وعلى طبيعته واهدافه ... وان بعضا منهم كان قد اطلع على الافكار الاشتراكية قبل ثورة اكتوبر ، وذلك اثناء دراستهم او عملهم في استانبول وغيرها من المدن العثمانية الكبيرة ، بل وحتى الاوروبية » (٩١) . وفي ذلك بالذات بعض التفسير لحقيقة ان ٨ أشخاص مثلوا الاكراد في « مؤتمر شعوب الشرق » الذي انعقد بمدينة باكو في عز أيام « ثورة العشرين » ، وان عددا اكبر من المثقفين الكرد رغبوا في الاشتراك فيه لولا عوائق حالت دون تحقيق ذلك (٩٢) . وان الرسالة التي بعثها الشيخ محمود الى السلطة السوفيتية الجديدة عن طريق ممثليتها في تبريز بعد القضاء على « ثورة العشرين » بفترة وجيزة مؤشر مهم لواقع ملموس لايتحمل التأويل أو الدحض . فعندما « دوي صوت الحرية الحقيقية في العام ١٩١٧ ... استقبلت جميع الشعوب المظلومة على وجه الارض هذا الصوت بحرارة وبدأت النضال في سبيل الحرية » ، هكذا استهل

=

الثاني ١٩٢٦ . ثم انني لم أجد بين جميع الاعداد التي اطلعت عليها من هذه الجريدة مايشير الى الدعاية للبلشفية ، بل على العكس من ذلك فان «نجمة كركوك» حاولت ، مثل بقية الجرائد التي أصدرتها سلطات الاحتلال ، تقديم صورة مشوهة عن أول نظام اشتراكي في العالم .

(٩١) في حديث مع الاستاذ اسماعيل حقي شاويس سجله المؤلف بتاريخ ١٧ آب ١٩٧٠ .

(٩٢) لنتفصيل راجع : الدكتور كمال مظهر أحمد ، أضواء على قضايا دولية في الشرق الاوسط ، بغداد ، ١٩٧٨ .

الشيخ رسالته المذكورة (٩٣) ٠

وفي ضوء الحقائق السالفة الذكر يجب تقييم ما ورد في احدى الوثائق الرسمية البريطانية من ان الانكليز يخشون ان يزعزع الكماليون والاكراد مواقعهم في جميع انحاء ما بين النهرين تحت تأثير البلشفية (٩٤) ٠ وكما يبدو واضحا من التقارير السرية البريطانية فان العديد من الرؤساء الكرد (سمكو ، السيد طه الشمزيني، الشيخ عبدالقادر وغيرهم) حاولوا مرارا استغلال مخاوف الانكليز من البلشفية في اتصالاتهم الخاصة بهم (٩٥) ٠ وقد اقترح بعضهم حشد طاقات رؤساء العشائر الكردية « لردع البلشفية والحركة الكمالية » عند الضرورة ٠ وحسبما يشير التقرير الخاص الذي بعثه حاكم الموصل السياسي في ٢١ أيلول ١٩٢٠ الى الحاكم العام ببغداد فان السيد طه كان « يرى في كردستان » الحاجز الوحيد للحيلولة دون وصول « البلشفيك ومصطفى كمال الى بلاد ما بين النهرين » (٩٦) ٠

---

(٩٣) راجع نص الرسالة في :
« النشرة الصحفية لمفوضية جمهورية روسيا السوفيتيةالاشتراكية في ايران » ، العدد الثالث ، اذار ١٩٢٨ (الملحق رقم ١٢) ٠ وقد نشر نص الرسالة للمرة الاولى باللغة الكردية بعد ثورة تموز ١٩٥٨ (راجع مجلة «روناهي» ، بغداد ، العدد الاول ، ١٩٦٠) ٠

(٩٤) راجع :
((Documents on British Foreign Policy, 1914—1939)). First Series, Vol. XIII, P. 667.

(٩٥) راجع مثلا : F. O. 371/4342; 371/13428

(٩٦) F. O. 371/4342

وبعد ٤ أيام فقط ذكر الكابتن هيي حاكم اربيل السياسي في تقرير مشابه بعثه الى بغداد ان السيد طه يؤكد انه اذا لم يتخذ الانكليز خطوات عاجلة فان « أنور باشا (٩٧) والبلشفيك سوف يستميلون العشائر الكردية الى قضيتهم » (٩٨) • وقد أولى المسؤولون الانكليز في بغداد هذه الآراء اهتماما خاصا جعلهم يتبادلون البرقيات بشأنها مع الهند (٩٩) •

وعلى الغرار نفسه تتوفر وثائق مهمة حول موضوع ثورة اكتوبر والعراق ككل ، حيث جاءه « دعاة البلشفية ••• في زي زوار وطلبة ايرانيين » حسب تعبير الوردي (١٠٠) • وتشير التقارير البريطانية السرية التي تعود الى ماقبل انفجار « ثورة العشرين » بفترة وجيزة الى ان الادبيات البلشفية كانت تصل المدن المقدسة العراقية ، بما في ذلك كتاب « مبادىء البلشفية » الذي جلبه الزوار من حلب ، والى ان اخبار التغيرات والحوادث الثورية وتقدم البلاشفة في روسيا كانت تناقش في مجالسها • بل تذهب تلك التقارير الى القول بأن الشيرازي أصدر فتوى تدعو الى اعتبار البلاشفة أصدقاء

---

(٩٧) القصد هو انور باشا وزير الدفاع العثماني السابق الذي انتقل يومذاك الىالقفقاس ومناطق اسيا الوسطى واشترك عضوا في «مؤتمر شعوب الشرق» في محاولة بائسة منه للعودة الى الحياة السياسية مرة اخرى •

(٩٨) F. O. 371/4342

(٩٩) F. O. 371/13428

(١٠٠) الدكتور علي الوردي ، المصدر السابق ، الجزء الخامس ، القسم الاول ، ص ٥١ •

للاسلام (١٠١) • وقد ذهبت « جمعية العهد ـ فرع الموصل » الى رأي مشابه لذلك في احدى وثائقها التي تعود الى ٨ تشرين الثاني ١٩١٩ • فبعد أن اعطت الجمعية تقييما صحيحا لطبيعة الدول الاستعمارية انكلترا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية تساءلت :

« فهل يمكن الاعتماد على هذه الدول أو على احداها ؟ • اننا لانعتقد بذلك ••• ونحن لاأمل لنا (١٠٢) ولارجاء من وراء القيام بالاعمال الادبية والمفاوضات مع هؤلاء الامم (١٠٣) المتكالبة على استعبادنا ، بل ولا في الاتكال على سوريا (١٠٤) ولا على الحجاز • والذي نتصوره ان لاخلاص للعرب خاصة ، وللاسلام عامة ، بعد ان كشف الحلفاء عن مكنوناتهم واسفروا عن مكرهم وخداعهم ، الا باتفاق العرب والترك مع البلشفيك والمانيا والنمسا ••• ولايخطر على بالنا في هذا البحران السياسي واسطة أخرى لحياة العرب والاسلام الا ما نتصوره من الاتحاد الاسلامي ـ البلشفي ـ الجرماني » (١٠٥) •

وأكثر من ذلك فان بعض التقارير الخاصة تؤكد ظهور أشبه

---

(١٠١) راجع :
Gh. Atiyyah, Op. Cit., PP. 311, 328 — 329

(١٠٢) في النص : « اما نحن فلا أمل لنا ••• » •

(١٠٣) القصد · الدول •

(١٠٤) من الجدير بالذكر ان العديد من العراقيين الموجودين في سوريا انذاك قد أصيبوا بخيبة أمل واضحة من مواقف الامير فيصل ازاء القضية العراقية •

(١٠٥) راجع : « صدى الاحرار » ، ٣ نيسان ١٩٥٣ •

مايكون بتنظيمات بلشفية في بعض مناطق البلاد • فقد ورد في تقرير سري للبوليس يحمل تاريخ ٢٠ اذار ١٩٢٠ خبر تأسيس منظمة سرية تحمل اسم « الجمعية البلشفية » (١٠٦) • وبعد فترة وردت اشارة مشابهة لنوع من النشاط البلشفي في خانقين (١٠٧) •

وهنا يجب الا ننسى ان العراق كان يشكل القاعدة الرئيسة لتجهيز وتموين الحملة العسكرية البريطانية بقيادة الجنرال دنسترفيل (L. C. Dunsterville) على مناطق القفقاس، ولاسيما على مدينة باكو الاذربيجانية • حتى ان بعض الضباط الانكليز الذين اضطلعوا بمهام ادارية قبل ذهابهم الى هناك ، وقعوا في أسر ثوار المنطقة ، منهم الضابط الضليع في الشؤون الكردية الميجر نوئيل (Maj. Noel) (١٠٨) • ولم يكن في الامكان اخفاء أخبار نشاطات الانكليز ضد النظام الاشتراكي الاول ، لاسيما وقد اولتها جريدتا «العرب» و «العراق» البغداديتان اهتماما خاصا (١٠٩) • ولابد ان ذلك قد أثار تساؤلات منطقية لدى الوطنيين العراقيين الذين كانوا يعطفون بحكم الواقع على كل عدو حقيقي لمحتلي بلادهم ومغتصبي ثرواتهم • وان كل انتصار عليهم كان من شأنه ان يشد أزر الوطنيين العراقيين ويقوي عزائمهم • وفعلا أشارت جرائد

---

(١٠٦) راجع : Gh. R. Atiyyah, Op. Cit., P. 311

(١٠٧) راجع : الدكتور عبدالله الفياض ، المصدر السابق ، ص ٢٨٤ •

(١٠٨) راجع : C. J. Edmonds, Op. Cit., P. 33

(١٠٩) نعود الى الموضوع في مكان آخر من هذا الفصل •

الثورة نفسها الى انتصارات البلاشفة على القوات البريطانية أكثر من مرة ، كما أعترف الجنرال هالدين بأن تقدمهم الى مدينة انزلي الايرانية عشية الثورة ترك تأثيره على العراقين (١١٠) •

ولم يلعب المحتلون انفسهم الدور الاخير في اطلاع العراقيين على ثورة اكتوبر وأهداف البلاشفة ، وعلى جوانب مما كان يجري هناك • فان من يتصفح جريدتي «العرب» و «العراق» العربيتين و «پيشكهوتن» و «تيكهيشتني راستي» (فهم الحقيقة) (١١١) الكرديتين و «نجمة كركوك» التركمانية (١١٢) يرى كيف أن الانكليز كرسوا الجانب الاكبر منها للدعاية ضد البلشفية • ويصعب

---

(١١٠) A. L. Haldane, Op. Cit., P. 247

(١١١) جريدة أصدرها الانكليز ببغداد من ١ كانون الثاني ١٩١٨ ، وتوقفت عن الصدور بتاريخ ٢٧ كانون الثاني ١٩١٩ ، لتحل محلها بعد فترة جريدة «بيشكهوتن» • كرس الانكليز «تيكهيشتني راستي» للترويج لسياستهم بقصد كسب الشعب الكردي الى جانبهم ، وهي ، بحكم ذلك ، طافحة بمعلومات وحقائق مجهولة من شأنها القاء ضوء ساطع على جوانب خافية من سياسة انكلترا تجاه المسألة الكردية في احدى أهم مراحلها الحساسة • وقد كرسنا كتابا مستقلا لمعالجة هذا الموضوع بعنوان «تيكهيشتني راستي وموقعها في الصحافة الكردية » (بغداد ، ١٩٧٨) •

(١١٢) صدرت الاعداد الاولى فقط من هذه الجريدة باللغة العربية ، أما البقية منها فقد صدرت باللغة التركمانية • وحسبما يبدو من الملفات المحفوظة في « الدار الوطنية للوثائق» ان حاكم مدينة كركوك لونكريك كان يبعث بنسخ من هذه الجريدة خصيصا الى المسؤولين البريطانيين في بغداد •

على المرء ان يصدق ان أكثر من ثلث مواد بعض أعداد «العرب» و «العراق» قد خصص لهذا الموضوع بالذات (١١٣) • كما نشرت جريدتا « تيكهيشتني راستي » و «پيشكهوتن» أغرب الاخبار عن البلشفيك (١١٤) • ومن الجدير بالذكر ان «حماس» الصحافة العراقية انوالية للانكليز ضد البلشفية والحركة الكمالية بلغ حدا جلب نظر المراقبين الغربيين (١١٥) • وبالطبع ان ذلك وحده كان يكفي ليبين للمثقف العراقي ان البلشفية هي عدوة لدودة للاستعمار الانكليزي • ولكن الى جانب ذلك فقد كان يتسرب أحيانا من خلال هذه الحملة الدعائية بعض الافكار التي لم تكن لتتفق مع أهدافها • فان جريدة «العرب» ، مثلا ، كتبت في احدى مقالاتها المفصلة بعنوان

---

(١١٣) تستثنى من ذلك طبعا الاعلانات الرسمية التي كانت تشغل حيزا كبيرا من صفحات الجريدتين (راجع على سبيل المثال : «العرب» ، ٣ و ٤ و ١٢ نيسان و ٩ ايار ١٩٢٠) •

(١١٤) راجع على سبيل المثال : «تيكهيشتني راستي» ، ٢ أيلول ١٩١٨ و ١٣ كانون الثاني ١٩١٩ ؛ «بيشكهوتن» ، ١٣ ايار و ٥ و ١٢ و ١٩ اب و ٢٣ ايلول و ١٤ و ٢١ تشرين الاول ١٩٢٠ (استمرت «بيشكهوتن» على نفس النهج حتى اخر عدد صدر منها في أواسط العام ١٩٢٢) • ويبدو من اسلوب المقالات والاخبار التي نشرت في «بيشكهوتن» بهذا الصدد ان الميجر سون كان يدبجها بنفسه ، مما يدل على اهتمامه الخاص بالموضوع والذي انعكس جليا في التقرير السري الانف الذكر الذي رفعه الى ارنولد ولسن وكيل الحاكم العام في بغداد •

(١١٥) راجع :

((The Near East and India)), December 7, 1922, P. 723

« الأشتراكية في العالم » (١١٦) « لقد أصبح أمر الاشتراكية عجيبا في انتشاره بين امم كثيرة ، حتى بين الامم التي هي ابعد الناس عنه » فيمكن ان يصير بعد حين من الزمن مذهب العالم باسره الذي يشده كل انسان ويتمنى الخير عن طريقه » (١١٧) . وقد اشارت «العراق» في افتتاحية لها تحمل عنوان « غاية البلشفيين » (١١٨) الى ان «المبدا البلشفي لايرمى به الى غاية احداث انقلاب اجتماعي في العالم فقط ، بل يرام ان يستنهض به في اسيا ثورة سياسية على اوروبا» ، لذا يعمل دعاتها في سبيل « تكوين اتحاد عام يضم ثوار الاناضول والايرانيين والمسلمين ... وبعبارة اشمل جميع اقوام اسيا للحركة ضد اوروبا عموما ، وضد الانكليز خصوصا » ، وقد أوفد وزير الخارجية جيجيرين « الوفود الى مصر وممالك افريقيا الشمالية ... يدعوها الى هذه الغاية » (١١٩) .

وبالاسلوب نفسه تسربت افكار ايجابية أو قريبة من هذه الى الصحف الكردية ايضا . فان « روسيا البلشفية اقتسمت كل مالديها مع العوام الالمان » وهي « تتهكم من رأي الحلفاء حول ارسال

---

(١١٦) يشغل المقال كل الصفحة الثالثة وقسما من الصفحة الرابعة من ذلك العدد ، ولم يشر صاحبه الى اسمه .

(١١٧) «العرب» ، ٥ حزيران ١٩١٩ . بالرغم من هذه الحقيقة ، وبالرغم من ورود مقارنة ذكية بين الاشتراكية وأفكار الثورة الفرنسية ، فان المقال لايخلو ايضا من بعض الطعون والشكوك .

(١١٨) مترجمة من اللغة الفارسية .

(١١٩) «العراق» ، ٧ تشرين الاول ١٩٢٠ .

تعزيزات جديدة الى روسيا » وان « الشغيلة الروس على استعداد للوقوف جنبا الى جنب مع الالمان على ضفاف الراين ضد الرأسماليين الانكليز » (١٢٠) •

وفي كل ماسبق التفسير الواقعي لذلك الاهتمام الملموس الذي اولته صحافة « ثورة العشرين » للمسألة البلشفية • فقد نشرت «الاستقلال» في عددها الثالث « ان الافكار البلشفية أخذت تتوسع في سوريا ، وان الرسائل التي كتبها لنين وتروتسكي والتي تبين اعترافهما باستقلال البلاد العربية قد انتشرت في جميع انحاء سوريا » (١٢١) •

وقد اولت جريدة «الفرات» الموضوع نفسه اهتماما اكبر ، وناقشته من جميع جوانبه • فانها نشرت في عددها الاول مقالة تحت عنوان « البلشفية ـ العادل الذي أوجدها » (١٢٢) ناقشت فيها أركان «ثورات الشعوب» و «أقسام البلشفية» • ومما جاء فيها ايضا : « يقول المسيو بوانكاره ان البلشفية مكروب لايعدي بها سوى الامم المقهورة (١٢٣) • وعند بعض الكتاب ان البلشفية دعوة لاتفرخ سوى

---

(١٢٠) راجع : «تيكه يشتني راستي» ، ١٣ كانون الثاني ١٩١٩ •

(١٢١) «الاستقلال» ، النجف ، العدد الثالث ، ١٠ تشرين الاول ١٩٢٠ •

(١٢٢) تقول الجريدة انها «ملخصة عن مقالة لبعض الكتاب» • وهي تحتوي فعلا على وجهة نظر غربية للموضوع ، ولكن اهميتها تكمن في انها تربط بين البلشفية والفقر والاستياء من الاوضاع المجحفة •

(١٢٣) الكلام لمسؤول فرنسي كبير ، فيجب تقييمه من خلال ذلك •

ولاتفقس الا حيث تلائمها الاحوال واهمها ان تجد تربة صالحة لنموها • ومن أعظم أسباب الخصب في هذه التربة استياء الناس من حالتهم الادبية والاقتصادية ونزوعهم الى تحسينها بأقرب مايوحي اليهم من الوسائل » (١٢٤) •

وفي محاولة منها لتحديد طبيعة « ثورة العشرين » ورد في افتتاحية العدد الثاني (١٢٥) من الجريدة نفسها عن اكتوبر مانصه : « ويختلف تأثير الثورة باختلاف مقاصد الثوار ، فقد تكون لقلب نظام خاص وابداله بآخر كثورة الامم على حكوماتها ، وقد تكون لتغيير نظام العالم كله كالثورة البلشفية التي أصبح تأثيرها عاما هاج الشعوب لطلب حريتها وتبديل نظام الكون »(١٢٦)•ويبدو من بعض الاخبار التي نشرتها صحف الثورة ان قادتها كانوا على علم بما يجري من تعاون بين النظام الاشتراكي الجديد في روسيا وحركات التحرر في المنطقة (١٢٧) •

ومن المحتم انه لو لم تكن الامور بهذا الشكل لما جعل تقرير

---

(١٢٤) «الفرات» ، العدد الاول ، ٢١ ذي القعدة ١٣٣٨ (٧ اب ١٩٢٠) •

(١٢٥) عنوان الافتتاحية : «ثورة العراق» •

(١٢٦) «الفرات» ، العدد الثاني ، ٢٨ ذي القعدة ١٣٣٨ (١٤ اب ١٩٢٠) •

(١٢٧) نشرت «الفرات» . مثلا ، ان الاتراك اخذوا «يجهزون جيوشهم لمحاربة اليونان في جبهة الازمير وذلك بعد أن نجحوا في توثيق صلاتهم السياسية مع البلشفيك » (راجع العدد الثاني من الجريدة) •

لوزارة الحرب البريطانية يحمل تأريخ ١٧ شباط ١٩٢١ من عـدم اتفاق الامير فيصل مع البلشفية وكرهه لها واحدا من الاسباب الرئيسة لاختياره ملكا على العراق(١٢٨)،ولما لجأ بعض من قادة «ثورة العشرين» نفسها (الخالصي ومحمد الصـدر وابراهـيم حلمي وآخرون) الى جيجيرين ، دون غيره ، ليرفع احتجاجهم ضـد خـرق الانكليز لاستقلال بلادهم الى مؤتمر لوزان قائلين مانصه : اننا تقديرا منـا « للموقف الصـادق لدولتـكم تجاه الشعوب الصغيرة » نرفـع لكم المذكرة التالية لترفعوها بدوركم الى مؤتمر لوزان (١٢٩) ٠ ومن المناسب ان نشير هنا الى ان بعض الشبان العراقيين قد نشروا عشية « ثورة العشرين » « مقالات ضافية عن القضية العراقية » في جريدة

---

(١٢٨) F. O. 371/6349 نشرت خبر هذه الوثيقة في تمـوز ١٩٧٧ وفي حدود علاقتها بالموضوع بعد ان حصلت عليها مـن مجموعة الزميل الدكتور فاروق صالح العمر وذلك ضمـن كتابي «ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي» (ص ٨١) ٠ وقد نشر الدكتور فاروق بعد ذلك مضمون النقاط الاربع التي تجعل من فيصل الشخص المناسب لاشغال العرش العراقي (راجع : الدكتور فاروق صالح العمر ، حول السياسـة البريطانية في العراق ١٩١٤ ـ ١٩٢١ ٠ دراسة وثائقية ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ١٠٤ـ١٠٥) ٠ ثم نشر الاستاذ نجـدة فتحي صفوت نصها كاملا بعد مرور اكثر من عام وذكر انهـا «وثيقة مهمة لم يسبق نشرها ايضا» (راجع : نجـدة فتحي صفوت، عرش يبحث عن ملك ، «افاق عربية» ، العدد ١٢، اب ١٩٧٨ ، ص ٢٤) مما اقتضى التنويه ٠

(١٢٩) راجع :
«وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السـوفيتي» ٠ الجـزء السادس ، موسكو ، ١٩٦٢ ، ص ٧٨ـ٧٩ ، ٦٠٦ ٠

« لومانيتيه » الفرنسية (١٣٠) .

بالرغم من كل ذلك فانه في ظروف العراق انذاك لم يكن في الامكان ان يتعدى تأثير ثورة اكتوبر المثقفين من سكان المدن . فان الفلاحين ، جيش الثورة الرئيس ، كانوا في وضع اجتماعي ومستوى من الوعي لا يسمح لهم بالتفاعل مع المتغيرات الخارجية الكبرى بشكل مباشر . لذا من الطبيعي ان جميع الفلاحين الذين استجوبوا في منطقة السماوة ذكروا انهم لم يسمعوا قبل ١٩٢٠ لا بثورة اكتوبر ولا بالحركة الكمالية ، وان قسما منهم فقط ذكروا بانهم سمعوا بحركة الحسين في الحجاز ونجله فيصل في سوريا . وقد ذكر عدد أقل حتى من هؤلاء انهم سمعوا بعد القضاء على « ثورة العشرين » بفترة عن اكتوبر والكمالية وغيرها من أحداث العالم والمنطقة(١٣١).

ولكن حتى بالنسبة لسكان المدن ومفكري الثورة فان التأثير ظل غامضا ومحدودا يعكس بوضوح واقعا اجتماعيا في مرحلة تأريخية معينة . فان « جمعية العهد ـ فرع الموصل » لم تبتغ في وثيقتها الانفة الذكر سوى « الاستمداد من قوة الروس والاستفادة من هذا الاسم الجديد »(١٣٢) . وان مفكري الثورة انفسهم ، وباعترافهم ، كانوا ما يزالون تخامرهم « الشبهة والشكوك في أمر

---

(١٣٠) راجع : محمد طاهر العمري ، المصدر السابق ، الجزء الثالث، ص ٤٩ .

(١٣١) رجاء أحمد ، بحث ميداني عن «ثورة العشرين» .

(١٣٢) راجع: : «صدى الاحرار» ، ٣ نيسان ١٩٥٣ .

البلشفيك وفي مبلغ اخلاص نياتهم قبل الاطلاع على مقاصدهم الحقيقية»(١٣٣) ، لذا ارادوا « النظر في امكان التفاهم معهم أو مع الانكليز على أساس الاستقلال » (١٣٤) ٠

وبالرغم من أهمية كل ما سبق فان على المتتبع ان ينظر الى تأثير ثورة اكتوبر الكبير من زاوية اخرى تماما ٠ فانها كانت أقوى ضربة وجهت الى النظام الرأسمالي الذي تحول الى أثقل عبء على كاهل الشعوب المختلفة ، فغيرت بذلك تناسب القوى على الصعيد الدولي بشكل غدا من الضروري اجراء تعديلات في كل الحسابات السابقة للمستعمرين ٠ وهي تحتل بذلك « موقعا متميزا في التأريخ البشري لانها دشنت عصرا جديدا ، هو عصر انتصار الاشتراكية وانهاء استغلال الانسان للانسان » (١٣٥) ٠ ثم ان النظام الاشتراكي الجديد لعب دورا حاسما في انتصار حركات تحررية لشعوب مجاورة للعراق تركت نجاحاتها ـ كما لاحظنا ـ تأثيرا ملموسا على الوعي السياسي لدى رجال الحركة الوطنية العراقية ككل ٠ واخيرا ان انتصار ثورة اكتوبر أفضى الى فضح أقذر صفحة من صفحات الدبلوماسية الاستعمارية السرية التي حبكت أخطر مؤامرة على مصير جميع شعوب الشرقين الادنى والاوسط ، بما فيها العرب والكرد ٠ فبعد يوم واحد من الثورة ، اعلن النظام الجديد رفضه القاطع للدبلوماسية

---

(١٣٣) راجع : «الفرات» ، العدد الثاني ، الافتتاحية ٠

(١٣٤) راجع ص ٤ من العدد نفسه ٠

(١٣٥) «الجمهورية» ، بغداد ، ٦ تشرين الثاني ١٩٧٦ ٠

السرية وتعهد بنشر جميع المعاهدات والاتفاقات التي عقدتها الحكومة القيصرية السابقة مع الدول الكبرى وغيرها ٠ وبعد اسابيع قليلة تم فعلا نشر حوالي مائة معاهـدة وعـدد كبير من الوثائق والرسـائل الدبلوماسية في الصحف المحلية ، بما في ذلك النص الكامل لمعاهدة « سايكس ـ بيكو » المعروفـة (١٣٦) ٠ وقد أثـار الامر ضجـة سياسية كبيرة على صعيد الشرق والغرب ، فاعادت العديد من الصحف العالمية نشر الوثائق السرية هذه ، مما شكل الصدمة الكبرى الاولى والتجربة العملية التي جعلت شعوب المنطقة امام الوجه الحقيقـي للدول الاستعمارية ٠ فبدأت الاوساط السياسية تفقد ثقتها بالحلفاء ، بعهودهم ومواثيقهم ، وتتبنى اساليب جديدة في النضال ٠ وان ابلغ دليل على ذلك في مجال بحثنا هذا هو ان « مكتب الثورة » الذي لعب دورا مهما في تهيئة الظروف لتفجير «ثورة العشرين» وقيادتها ، قد دشن اعماله في النجف بعد فضح بنود معاهدة «سايكس ـ بيكو»، كما يذكر ذلك احد مؤسسي المكتب (١٣٧) ٠ وأخيرا فان مواقف وتصريحات مسؤولي النظام الاشتراكي الجديد منحت العديد مـن ساسة الشرق الاوسط الامل في ظهور قوة جديدة ذات شأن يمكن الاعتماد عليها في مقارعة المستعمرين ، مما يبدو جليا في الحوار الذي

---

(١٣٦) للتفصيل راجع :
«تاريخ الدبلوماسية» ، (باللغة الروسية) ، الجزء الثـاني ، موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٤٥ ، ص ٣٠٤ـ٣٠٥ ٠

(١٣٧) راجع : السيد محمد علي كمال الدين ، معلومات ومشاهدات في الثورة العراقية الكبرى لسنة ١٩٢٠ ، بغداد ، ١٩٧١ ، ص ٧٠ ٠

أجراه علي جودت الأيوبي (١٣٨) عشية « ثورة العشرين » مع فيصل الاول في سوريا (١٣٩) •

لعبت بنود الرئيس ولسن الاربعة عشر (صدرت يوم ٨ كانون الثاني ١٩١٨) دورا واضحا ، كعامل خارجي ، في تحريك الجو السياسي في العديد من المناطق ضد حليفتي بلاده انكلترا وفرنسا • وبغض النظر عن اهدافها الحقيقية التي لم يكن من السهل ادراك كنهها يومذاك ، فان تلك البنود احتوت على تاكيدات واشارات الى قضايا تخص « وضع نهاية للمعاهدات الدبلوماسية السرية » (البند الاول) ، و « حل حر و صريح ومنصف بشكل مطلق لجميع المنازعات الخاصة بالمستعمرات»مع مراعاة «مصالح سكان المستعمرات» « بنفس وزن الطموحات المشروعة للحكومة التي تحدد حقوقها » (البند الخامس) ، و « ضمان سيادة اكيدة للاجزاء التركية من الامبراطورية العثمانية » ، ومنح الشعوب غير التركية في تلك الامبراطورية « فرصة مطلقة مصونة لتطوير الاستقلال الذاتي » (البند الثاني عشر) (١٤٠) •

---

(١٣٨) تتوفر ، طبعا ، شواهد كثيرة اخرى وردت على لسان ساسة الشرقيين الادنى والاوسط او في مواقفهم، وقد اقتصرنا نحن هنا على ذكر هذا المثل لعلاقته المباشرة بالعراق وبثورة العشرين •

(١٣٩) راجع : علي جودت الايوبي ، ذكريات ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٩٠–٩٢ •

(١٤٠) عن نص البنود راجع :

C. E. Black and E. C. Helmreich, Twentieth Century Europe, New York, 1950, PP. 839—840.

انتشرت أنباء بنود الرئيس ولسن في كل انحاء العالم بسرعة ، وذلك من جراء الحملة الدعائية الواسعة التي نظمتها الاوساط الامريكية المسؤولة ، ونتيجة الاهتمام الكبير الذي اولته اياها الصحافة والاوساط السياسية الاوروبية المختلفة . وقد نشرت الصحف الشرقية بدورها البنود ، وعلقت عليها . اما في العراق فقد نشرت جرائد « العرب » باللغة العربية(١٤١) و « تيكه‌يشتنى راستى » بالكردية (١٤٢) و « نجمة كركوك » بالتركمانية (١٤٣) ملخصا للبنود الاربعة عشر . وفي تعليق لها على البنود ذكرت « العرب » انها تستهدف « تلبية نداء الشعوب المستعمرة والاذعان لرغباتها ومطاليبها » (١٤٤) .

تتوفر شواهد كثيرة ومختلفة تبين مدى عمق الآثار التي تركها المظهر الخارجي لبنود الرئيس الامريكي في نفوس عدد كبير من زعماء الشرق الاوسط وغيرهم (١٤٥) . فان الشيخ محمود حارب الانكليز في العام ١٩١٩ رابطا فوق زنده الترجمة الكردية للبند الثاني

---

(١٤١) «العرب» ، ٣١ كانون الثاني و ٧ شباط ١٩١٨ .

(١٤٢) «تيكه‌يشتني راستي» ، ١٥ و ١٩ و ٢٢ كانون الثاني ١٩١٨.

(١٤٣) «نجمة كركوك» ، ٨ شباط ١٩١٩ .

(١٤٤) «العرب» ، ٣١ كانون الثاني ١٩١٨ .

(١٤٥) يقول مؤرخ «الثورة العربية» أمين سعيد ان موقف الرئيس ولسن قوى من تمسك زعماء المنطقة «باستقلالهم ثقة منهم بوعوده وعهوده » (راجع : أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى . تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن ، المجلد الاول ، القاهرة ، بلا ، ص ٣١٧) .

عشر من بنود الرئيس ولسن مدونة مع تصريحات اخرى للحلفاء على أوراق من المصحف الشريف جابه بها الحكام الانكليز اثناء محاكمته ببغداد قائلا لهم انه « حاربهم باسم هذه البنود » ، فلا يحق لاي محكمة عسكرية ان تقوم بمحاكمته (١٤٦) . كما يذكر أحد زعماء « العهد » الموصلي ان عددا من رؤساء العشائر الكردية في منطقة بادينان قد بعثوا عن طريق الجمعية بمذكرات الى مؤتمر الصلح وصاحب البنود الاربعة عشر (١٤٧) .

وكان اول اتصال للشيرازي (١٤٨) على الصعيد الخارجي مع الامريكان . فقد بعث في ١٣ شباط ١٩١٩ برسالة الى الوزير الامريكي المفوض في طهران استعان فيها « بحكومة الولايات المتحدة على المطالبة بحقوق الشعب وانجازها » . وسرعان ما خاطب شخص الرئيس ولسن في رسالة اخرى استهلها بالقول : « ابتهجت الشعوب

---

(١٤٦) راجع :
A. T. Wilson, Mesopotamia 1917—1920, P. 139,
ي. ليفين ، العراق ، موسكو ، ١٩٣٧ ، ص ١١٦ ؛ رفيق حلمي ، المصدر السابق ، الجزء الثاني ، بغداد ، ١٩٥٦ ، ص ١٧٠ . يقول وكيل الحاكم العام ارنولد ولسن ان الشيخ محمود جابهه شخصيا بالبند الثاني عشر من بنود الرئيس ولسن وبالتصريح الانكلو ـ فرنسي المعروف الذي صدر يوم ٨ تشرين الثاني ١٩١٨ والذي كان يلتقي في محتواه العام مع ما ورد من أمور في البنود الاربعة عشر للرئيس الامريكي .

(١٤٧) راجع : عبدالمنعم الغلامي ، ثورتنا في شمال العراق ، ص ١١٢ـ١١٤ ، ١٢٨ .

(١٤٨) هو المجتهد الاكبر محمد تقي الحائري المعروف بالشيرازي .

جميعها بالغاية المقصودة من الاشتراك في هذه الحروب الاوروبية من منح الامم المظلومة حقوقها وافساح المجال لاستمتاعها بالاستقلال حسب الشروط المذاعة عنكم • وبما انكم كنتم صاحب المبدأ في هذا المشروع ، مشروع السعادة والسلام العام ، فلا بد ان تكونوا الملجأ في رفع الموانع عنه » (١٤٩) •

واذا حاولنا ان نقترب من « ثورة العشرين » نفسها خطوة اخرى فاننا نرى جريدة «الاستقلال» البغدادية (١٥٠) التي يرى فيها الكثيرون الصحيفة الثالثة للثورة (١٥١) ، تعتبر « مبادىء ولسن ومنشورات الحلفاء ووعودهم » في مقدمة العوامل التي فجرت « ثورة العشرين » على اساس انها . رصنت «روح الاستقلال المتسربة في جسم المجتمع العراقي » (١٥٢) • وبعد القضاء على الثورة بفترة وجيزة اكد الدكتور محمد مهدي البصير ، أحد انشط مثقفي الثورة ، الرأي نفسه بالقول :

---

(١٤٩) حول نص الرسالتين راجع : الدكتور علي الوردي ، المصدر السابق ، الجزء الخامس ، القسم الاول ، ص ١٠٤-١٠٥ •

(١٥٠) صدر العدد الاول منها في ١٤ محرم ١٣٣٩ ، ٢٨ أيلول ١٩٢٠ ، وكانت تدافع عن قضية الثورة في حدود الامكان ، وأصرت على ضرورة منح العراق الاستقلال التام • وقد رحبت صحافة الثورة بصدورها •

(١٥١) راجع مثلا : عبدالرزاق الحسني ، تاريخ الصحافة العراقية ، الطبعة الثالثة ، صيدا ، ١٩٧١ ، ص ٨١-٨٢ ؛ يعقوب يوسف كوريا ، المصدر السابق ، ص ٢٥ •

(١٥٢) «الاستقلال» ، بغداد ، ٣ تشرين الثاني ١٩٢٠ •

« وأذا اضفنا الى هذه الوعود (يقصد وعود الحلفاء ـ ك٠م٠) أعلان مبادىء الرئيس ولسن الذي كان وقتئذ رسول الحرية الاكبر، تحقق لدينا ان العرب شعروا جميعا بان ساعة انشاء الامبراطورية العربية العظيمة قد دنت » ، فاعتقد العراقيون « انه ليس بينهم وبين تحقيق أمانيهم السياسية المضمون نجاحها بوعود وعهود اعظم ساسة العالم الا اماطة اللثام عن حقيقة الاحوال السائدة عندهم ، فيجب والحالة هذه ان يبرهنوا للملأ على رغبتهم الشديدة في الاستقلال مهما كلفهم الامر ، ثم لا خوف عليهم ما دامت أمريكا نصيرة الانسانية وقائد لواء الحرية بين البشر ، واقفة للمعتدين بالمرصاد ٠ واختمرت هذه الفكرة في رؤوس العراقيين خصوصا في الداخل ، فكان لها الاثر في جميع ما قاموا به من الاعمال الوطنية » (١٥٣) ٠

ومع ان بنود الرئيس ولسن تركت اثرها الواضح في الوسط السياسي العراقي ، كما كان عليه الامر في كل أقطار الشرقين الادنى والاوسط ، الا ان قطاعا محدودا من الوطنيين العراقيين يدخلون ضمن القلائل جدا من ساسة المنطقة «١٥٤» الذين ادركوا في وقت مبكر كنه تلك البنود٠ فعندما كان يسود الوسط السياسي السوري، وأوساطا سياسية عراقية ، تفاؤل غير مبرر بسبب صدور البنود الاربعة عشر ومجيء كنك وكرين ممثلين عن الرئيس الامريكي الى فلسطين

---

(١٥٣) محمد مهدي البصير ، المصدر السابق ، الجزء الاول ، ص ٥٥ــ٥٦ ٠ وردت عبارات مشابهة في ص ٧٦ من الكتاب نفسه٠

(١٥٤) منهم مصطفى كمال أتاتورك ٠

وسوريا ، وعندما كانت التأكيدات تأتي من مركز « جمعية العهد » في دمشق حول ضرورة طلب «مساعدة امريكا الديمقراطية»(١٥٥)، هب فرع « العهد » في الموصل ليعطي الموضوع حقه بشكل مدرك . ففي رد الفرع بتاريخ ٨ تشرين الثاني ١٩١٩ على ما أثاره المركز حول الموضوع ورد مثل هذا الرأي النادر جدا لوقته :

ان « امريكا لم تدخل الحرب لاجل تخليص الامم الضعيفة كما تزعم ، انما دخلت الحرب مضطرة » . وبعد تأكيد التشابه بين موقف الولايات المتحدة وموقف انكلترا يقول الرد « وعلى هذا فليس لنا من أمل نعقده على هذه الدولة » (١٥٦) . وعند تقييمنا لمثل هذا الموقف الصائب يجب ان نتذكر ان معظم قادة الشرق (سعد زغلول، عصمت اينونو ، أبرز زعماء سوريا وغيرهم) كانوا يعقدون آمالا جساما على موقف امريكا ، ولاسيما على البنود الاربعة عشر للرئيس ولسن .

وقد قيم مثقفو « ثورة العشرين » انفسهم وعود وعهود الحلفاء ومقررات مؤتمراتهم بشكل صحيح ، مما له دلالته السياسية عند تقييم الثورة . فقد وردت في العدد الاول من جريدة «الفرات» الملاحظة الدقيقة التالية :

---

(١٥٥) هذا ما ورد في رسالة بعثها مولود مخلص من سوريا الى فرع الجمعية في الموصل بتاريخ ٢٥ حزيران ١٩١٩ (راجع : «صدى الاحرار» ، ٩ كانون الثاني ١٩٥٣) .

(١٥٦) راجع : «صدى الاحرار» ، ٣ نيسان ١٩٥٣ .

وقد صبر العراقيون « حتى عيل صبرهم من مؤتمر «فيرساي» • وجاء مؤتمر «سان ريمو» ضغثا على ابالة ، تمثل في مقرراته احكام العصور المظلمة ، مستهينا بالامم الشرقية ، ساحقا مميزاتها القومية ، متنكرا حقوقها الطبيعية كأن هذه الامم أكلة سائغة » (١٥٧) •

هذ مجتمعة كانت العوامل التي هيأت الظروف الموضوعية التي دفعت بكل الحركة الوطنية العراقية الى مجرى معـاد للاستعمـار البريطاني ، وهي تختفي بنسب مختلفة وراء الانتفاضات والتحركات التي شملت معظم انحاء العراق منذ أن وضعت الحرب العالمية الاولى أوزارها • ومن الجدير بالذكر ان العديد من المسؤولين الانكليـز (وكيل الحاكم المدني العام ولسن والقائد العام للقوات البريطـانية العاملة في العراق هالدين وغيرهما) يقرون ، بشكل أو بآخر ، تأثير هذه العوامل في خلق جو عام من الاستياء بين العراقيين (١٥٨) • وقد أكد العديد من وثائق «ثورة العشرين» ومصادرها أو المشاركون فيها أهمية هذه العوامل (١٥٩) التي تجسدت مع ظهور المقدمات الاولى

---

(١٥٧) «الفرات» ، العـدد الاول ، ٢١ ذي القعـدة ١٣٣٨ (٧ اب ١٩٢٠) •

(١٥٨) راجع مثلا :
A. T. Wilson, Mesopotamia 1917—1920, PP. 311—312

(١٥٩) راجع مثلا : «الاستقلال» ، بغداد ، ٣ تشرين الثاني ١٩٢٠ ؛ محمد مهدي البصير ، المصدر السابق ، الجزء الاول ، ص ٦٤ـ٧١ • لخصت جريدة «الاستقلال» في عددهـا المذكـور أسباب الثورة بسبعة عوامل أساسية هي روح الاستقـلال ، =

للثورة وفي الانتفاضات الكردية التي شملت اكثر من منطقة قبل أن تنفجر تلك ٠

مقدمات الثورة
والمنطقة الكردية

غالبا ما تسبق الانفجارة الاكبر انفجارات متفرقة أصغر تهيء الاذهان اكثر للهجمة العاصفة التي تستوعب عادة تلك الروافد لتشكل معا مجرى موحدا ٠ وهكذا كان الامر بالنسبة لـ « ثورة العشرين » التي سبقها نضال جماهيري شكل الرفض الاول للاحتلال البريطاني٠ وقد برزت مدينة النجف بشكل خاص في ذلك النضال ٠ فان هذه المدينة قد شهدت في السنتين الاخيرتين من الحرب العالمية الاولى نشاطا سياسيا فريدا من نوعه بالنسبة لظروف الحرب ٠ فعندما كانت تختفي المنظمات السياسية في المناطق العثمانية الاخرى ، كانت تتشكل في النجف جمعيات سرية جديدة من قبيل «النهضة الاسلامية»(١٦٠)، ويظهر اسلوب توزيع النشرات السرية المعادية للمحتلين

=

مبادىء ولسن ووعود الحلفاء، سوء تصرف الحكام ، اعتماد الانكليز على من لايعتمد عليهم الشعب ، قمع انتفاضة النجف بقسوة ، استياء الزعماء وأخيرا نفي الوطنيين ٠

(١٦٠) اسسها عدد من رجال الدين المعروفين في النجف ضد الاحتلال ، وقد زاولت نشاطا سياسيا واسعا خلال السنة الاخيرة من الحرب ٠

الانكليز (١٦١) ، وتجري الاتصالات مع جهات مختلفة ، بما في ذلك أسياد البلاد السابقين ، في سبيل ضمان استقلال البلاد . وسرعان ما تمخض هذا النشاط عن نضال ايجابي ضد السيطرة الاجنبية الجديدة . فلم تستكمل القوات البريطانية احتلال العراق في السنة الاخيرة من الحرب عندما انفجرت انتفاضة جماهيرية ضدها في المدينة لتدشن بداية سلسلة من الحركات والانفجارات المحلية التي شكلت مقدمات مهمة وضرورية للثورة (١٦٢) . فمنذ مطلع العام ١٩١٨ وقعت في منطقة النجف اعمال معادية لقوات الاحتلال أسفرت عن مقتل وجرح عدد من رجالها . وفي ١٩ آذار اغتال النجفيون حاكم المدينة الكابتن مارشال W. M. Marshall وذلك في حركة منظمة لعب فيها اعضاء « جمعية النهضة الاسلامية » الدور الفعال والقيادي. وقد أثار ذلك المسؤولين الانكليز الذين أزمعوا على اتخاذ اجراءات مشددة تصبح درسا لكل من يفكر بالخروج على ارادتهم .وهكذا فرضوا على مدينة النجف حصارا استمر لمدة حوالي ٤٠ يوما ، وفي ٣٠ آيار ١٩١٨ نفذوا حكم الموت بحق ١١ وطنيا ، والقوا القبض على عدد كبير من الناس ، وابعدوا ١٢٣ شخصا الى الهند .ولكن كل هذه

---

(١٦١) راجع : محمد رضا الشبيبي ، ثورة النجف ضد الاستعمار البريطاني ١٩١٧–١٩١٨ ، ـ «الثقافة الجديدة» ، بغداد ، العدد ٤ ، تموز ١٩٦٩ .

(١٦٢) للتفصيل عن أحداث النجف في تلك الفترة راجع : عبدالرزاق الحسني ، ثورة النجف بعد مقتل حاكمها الكابتن مارشال ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٧٨ .

الاجراءات لم يفت من عضد الوطنيين كما توقع الانكليز، بل على العكس من ذلك ، وحسب منطق التاريخ وقوانينه ،أجج نار الحقد الدفين في نفوس النجفيين وغيرهم (١٦٣) ، مما انعكس واضحا في النشاط السياسي المتصاعد الذي تميزت به مدينة النجف ، وفي الدور الابرز الذي لعبته بعد ذلك في «ثورة العشرين» ، وأخيرا في سلسة الحركات والانتفاضات التي شهدت المناطق العراقية المختلفة انفجاراتها المستمرة • ومن الجدير بالذكر ان صحافة الثورة اشارت صراحة الى ما تركته انتفاضة النجف من تأثير عميق في تنبيه أذهان العراقيين الى واقع المحتل الجديد (١٦٤) •

وعلى غرار النجف لم تمض سوى فترة وجيزة على فرض السيطرة البريطانية على المنطقة الشمالية في الايام الاخيرة للحرب العالمية الاولى حتى انفجرت هناك سلسلة متواصلة من الانتفاضات • فان عوامل الاستياء من سياسة الانكليز العامة كانت تعمل عملها في الوسط الكردي بمستوى وشكل لايختلفان في شيء عما كان عليه الامر في بقية انحاء البلاد • وفي ذلك يكمن التفسير الاول لذلك المد الثوري العارم الموجه ضد الوجود البريطاني ، مما كان له موقعه بين العوامل التي هيأت الظروف الموضوعية لانفجار

(١٦٣) هذا ما يؤكده جميع الذين اشتركوا في الثورة وكتبوا عنها فيما بعد ، منهم ، كما ذكرنا في حينه ، الدكتور محمد مهدي البصير •

(١٦٤) راجع مثلا : «الفرات» ، العدد الثاني ، ٢٨ ذي القعدة ١٣٣٨ (١٤ اب ١٩٢٠) •

«ثورة العشرين» التي لم يكن في وسع المنطقة الكردية ، للاسباب نفسها ، أن تبقى بعيدة عن أوارها •

وقعت الانتفاضة الكردية الاولى ضد الانكليز في منطقة زاخو، عندما اعلنت عشيرة كويان (١٦٥) في أواخر اذار ١٩١٩ خروجها على سلطة الاحتلال ، وذلك بسبب استياء أفرادها الكبير من السياسة التي اتبعها المحتلون في منطقتهم • وكان اول عمل مهم قام به الثوار انهم دبروا أمر اغتيال ضابط المنطقة السياسي الكابتن پيرسون A. C. Pearson في كمين نصبوه له عندما كان يقوم بجولة تفقدية ، ولكن دون ان يصيبوا احدا من مرافقيه وحراسه بأذى ، مكتفين بتجريدهم من أسلحتهم فقط ، وقد كان معظمهم من السكان المحليين من كرد وعرب ، مما دفع المسؤولين الانكليز الى الاعتقاد بأن هؤلاء كان لهم يد في وضع خطة الاغتيال (١٦٦) • ومع ان المحتلين لجأوا مباشرة الى استخدام الطائرات ضد الثوار ، ومع أن حاكم الموصل ليجمن أسرع الى المنطقة لاتخاذ الاجراءات الكفيلة بوضع نهاية لانتفاضة الكويان ، الا ان نطاق الانتفاضة قد توسع خاصة وانها حفزت افراد العشائر الاخرى للانتفاض

---

(١٦٥) كانت عشيرة نصف متنقلة . بلغ تعدادها انذاك اكثر من الفي أسرة ، وقدر عدد مسلحيها باكثر من الف شخص •

(١٦٦) راجع : مس بيل ، المصدر السابق ، ص ٩٧ •

بذورهم (١٦٧) • ولم تتمكن قوات الاحتلال من القضاء على الانتفاضة حتى أواخر الصيف• وفي تعقيب له على عمليات قواته العسكرية في هذه المنطقة ذكر أرنولد ولسن انها لو جرت أثناء الحرب « لما كانت تشغل كل الصحافة حسب ، بل كانت تسجل كذلك صفحة خالدة في التاريخ الرسمي لحرب العراق »(١٦٨) • وحسب قوله ايضا ان هذه التجربة أثبتت مدى حاجتهم الى وجود قوات نظامية كبيرة في المنطقة الكردية •

استخدم المحتلون الانكليز كل ما توفر لديهم من أساليب القسوة للقضاء على انتفاضة الكويان ، فاضطر العديد من الثوار للاختفاء في المناطق الحصينة أو العبور الى الجانب الاخر من الحدود • وقد امتدت آثار اجراءات سلطات الاحتلال الى أفراد هذه العشيرة المسالمين حيثما وجدوا ، وذلك بسجنهم او محاربتهم في عيشهم (١٦٩) •

قبل ان يستطيع الانكليز القضاء على الحركة في كويان اندلعت

---

(١٦٧) للتفصيل عن وقائع الكويان راجع : محمد طاهر العمري ، المصدر السابق ، الجزء الثالث ، ص ١١٤ــ١١٦ ؛ عبدالمنعم الغلامي ، ثورتنا في شمال العراق ، ص ٣٤ــ٤١ ؛
A. T. Wilson, Mesopotamia 1917—1920. PP. 147, 150—152; S. H. Longrigg, Op. Cit., P. 102.

(١٦٨)
A. T. Wilson, Mesopotamia 1917— 1920, PP. 150—151.

(١٦٩) راجع : مؤرخ ، صفحات مطوية من تاريخ الحركة الوطنية ، ــ «صدى الاحرار» ، ٣ نيسان ١٩٥٣ •

نيران انتفاضة اكبر ضدهم في منطقة السليمانية بقيادة الشيخ محمود (١٧٠) الذي انزل العلم البريطاني من على سارية مقر الحاكم السياسي والقى القبض على جميع الانكليز الموجودين في المدينة • وقد استمرت الحركة تتوسع بحيث عجزت مناورات الانكليز وكذلك حملتهم الاولى عن وضع حد لها • وقد خسر المحتلون خلال حملتهم تلك من سيارات النقل فقط ١٩ سيارة (١٧١) • بعد ذلك اضطروا الى توجيه حملة عسكرية كبيرة بقيادة الجنرال فريزر (T. Fraser) ضد الثوار الذين تحصنوا في مضيق بازيان • ولكن خيانة احد الاقطاعيين وجرح الشيخ نفسه سهلا مهمة هذه القوة التي تمكنت بعد قتل ٤٨ وجرح عدداً كبر وأسر ١٢٠ من الثوار(١٧٢) من القضاء على الانتفاضة • الا أن المحتلين الانكليز احتاجوا الى ما لا يقل عن شهرين اخرين قبل ان يتمكنوا من اعادة سيطرتهم السابقة على كل المنطقة • اما الشيخ نفسه فقد قدم الى محكمة عسكرية

---

(١٧٠) تحتاج الانتفاضة التي قادها الشيخ محمود في العام ١٩١٩ الى دراسة مفصلة نظرا لاهميتها ، ولكونها بداية مهمة لحركة واسعة استمرت لسنوات كثيرة بعد القضاء على « ثورة العشرين » • واننا هنا نستعرضها باختصار كمؤشر اخر لحركة التحرر الوطني للشعب الكردي في تلك المرحلة ، ولما كان لها من وقع كبير في المناطق الاخرى •

(١٧١) A. T. Wilson, Mesopotamia 1917—1920, P. 137

(١٧٢) C. J. Edmonds, Op. Cit., P. 46 ؛ علي سيدو الكوراني ، من عمان الى العمادية او رحلة في كردستان الجنوبية ، عمان ، ١٩٣٩ ، ص ١٠٦ •

أصدرت حكم الموت بحقه ، ولكن وكيل الحاكم العام ولسن اضطر الى تبديل الحكم الى السجن لمدة عشر سنوات مع غرامة قدرها ١٠ آلاف روبية ، علما بأنه كان يرى في موت الشيخ « أهم عنصر للاستقرار في كردستان الجنوبية » حسب اعترافه (١٧٣) ، الا انه كان يخشى عواقب ذلك ، ولاسيما ان الاوضاع كانت تشير بوضوح الى ان العراق كله مقبل على انفجار عام • وقد برر البلاغ الرسمي تبديل الحكم هذا بحسن تصرف الشيخ مع المعتقلين الانكليز (١٧٤)•

لم تضع هذه الضربة القوية ايضا نهاية للانفجارات الكردية المعادية للاستعمار الانكليزي • فانتقل الثقل من جديد الى منطقة بادينان التي شهدت قبل حلول العام ١٩٢٠ مصرع العشرات من قوات الاحتلال (١٧٥) ، بما في ذلك عدد كبير من ضباطهم ، منهم الحاكم السياسي لمنطقة الموصل بيل (J. Bill) الذي يقيم ولسن

---

(١٧٣) A. T. Wilson, Mesopotamia 1917—1920, P. 139

(١٧٤) راجع نص البلاغ في «العرب» ، ٢ أيلول ١٩١٩ •

(١٧٥) تقدر بعض المصادر هذه الخسائر بالفي قتيل ومئات من المفقودين (راجع : عبدالمنعم الغلامي ، الضحايا الثلاث ، الموصل ، ١٩٥٢) • ويقدر انور المائي خسائر الانكليز في موقعة واحدة بالقرب من بامرني بـ ٥٠٠ قتيل وحوالي ٨٠٠ جريح و ٣٢ أسير (راجع : انور المائي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٨) • ولئن كان في ذلك مبالغة واضحة ، الا انه يدل، في كل الاحوال ، على عظم الخسائر وماكان الناس يتداولون بشأنها •

خبراته وخدماته عاليا (١٧٦) والضابط السياسي في العمادية وايـلي (D. Willey) ومساعداه ضابطا البوليس مكدونالد H. Macdonald وتروب (R. Troup) ومعاون الحاكم السياسي في عقرة الكابتـن سكوت (K. Scott) وغيرهم •

تعتبر « انتفاضة تلعفر » من الاحداث المهمة التي سبقت « ثورة العشرين » والتي يرى فيها معظم المؤرخين واحدة من المقدمات المهمة للثورة المذكورة (١٧٧) • وتكمن اهمية اخرى للانتفاضة في انهـا جسدت ، بشكل او بآخر ، ارادة وتضامن جميع القوميات العراقيـة في مناهضة الاحتلال البريطاني (١٧٨) • وقد ادت هذه الانتفاضـة

---

(١٧٦) راجع :
A. T. Wilson, Mesopotamia 1917—1920, P. 152

(١٧٧) للتفصيل عنها راجع : قحطان أحمد عبوش التلعفري ، ثورة تلعفر ١٩٢٠ والحركات الوطنية الاخرى في منطقة الجزيرة ، بغـداد ، ١٩٦٦ •

(١٧٨) من الطريف ان نشير هنا الى ان الثوار عندما حرروا بلدة تلعفر ووصل قسم منهم الى مقر حكومة الاحتلال فيها وحاول سلب موجودات خزانتها توجه اليهم عبدالحميد الدبوني ، من قادة الانتفاضة البارزين ، وأخذ « يخاطبـهم بالعربيـة تـارة ، وبالتركية تارة ، وبالكردية تارة ، حيث ناشدهم ان يتركوا المال ••• » (راجع : قحطان أحمد عبوش التلعفري ، المصدر السابق ، ص ٢٢٣) • عن موقف الاكراد من «انتفاضـة تلعفر» راجع كذلك :
W. Empson, The Cult of the peacock angel. A short account of the yezidi tribes of Kurdistan, London, 1928, P. 92.

التي انفجرت في بداية حزيران ١٩٢٠ الى تحرير تلعفر من قبضة الانكليز ومقتل جميع البريطانيين والهنود العاملين هناك • ومع أن سلطة الاحتلال تمكنت من القضاء على الانتفاضة بعد أيام قلائل بقسوة (١٧٩) ، الا انها تركت صداها في الاوساط والمناطق الاخرى، بما في ذلك الوسط الكردي • فباعتراف الكابتن هيي أن احداث تلعفر ادت الى تردي وضع الانكليز في اربيل بشكل ملموس ، لاسيما جراء تصاعد نشاطات المعادين للوجود البريطاني ، ممن كانوا « يبشرون بالثورة علنا في الميادين والمقاهي »(١٨٠) •

ومما يجدر بالذكر هنا ان فرع الموصل لجمعية العهد قد وزع منشورا على رؤساء العشائر الكردية عشية انتفاضة تلعفر يحثهم فيه على المساهمة في الحركة المرتقبة ، وذلك بالاشتراك مع اخوانهم «بفريضة الجهاد» ليكونوا « يدا واحدة على الاعداء الغاصبين » • ومما جاء في المنشور أيضا :

« ايها الموحدون : انكم اكثر عددا واقوى شكيمة من هؤلاء الاعداء ، وانتم على الحق وهم على الباطل ، فان استعنتم بالله عليهم وصبرتم كما صبر اسلافكم في المعارك وميادين الجهاد فالله تعالى ينصركم ويثبت أقدامكم كما نصرهم من قبل ، ويعيد اليكم كرامتكم،

---

(١٧٩) اضطر معظم سكان تلعفر وابناء العشائر المجاورة الذين اشتركوا في الانتفاضة ، الى ترك مناطقهم ، وقد وجد العديد منهم المأوى بين العشائر وفي القرى الكردية •

(١٨٠) W. R. Hay, Op. Cit., PP. 267 — 268

ويحفظ حقوقكم ويرد كيد المبطلين عنكم ... هذا ويجب ان تعلموا وتتذكروا ، ايها المسلمون ، ان في بلادنا جماعات كثيرة من غير المسلمين ، عاش فيها اباؤهم منذ مئات السنين ، وقد أوجب علينا الدين الاسلامي ان نراعي حقوقهم ، ونصون كرامتهم ، ونحفظ جوارهم ، وان لانؤذيهم ونعتدي عليهم (١٨١) ، ان الله لايحب المعتدين » (١٨٢) .

ماكان بوسع هذه الانفجارات أن لاتؤثر بشكل أو بآخر ، على الاقل في اطار الترابط العمودي بين الاحداث ، في تهيئة جو اكثر ملائمة للانفجارالاكبر المتمثل في «ثورة العشرين» . فقبل كل شيء ان الحركات الكردية اسهمت جديا في اضعاف موقع الانكليز في جزء حساس من البلاد ، وهو ما تعترف به الوثائق الرسمية البريطانية صراحة . ففي برقية من وزير الهند الى الحاكم البريطاني العام في بغداد تحمل تاريخ ٢٢ اب ١٩١٩ جاء ما نصه :

« ان حكومة صاحب الجلالة ايدت حتى الان انتشار النفوذ البريطاني في كردستان الجنوبية لانها كانت واثقة من ان السكان يرحبون بالانكليز ... ولكن غدا الان واضحا عدموجود مايبرر مثل هذا الاعتقاد ، فان السكان لايرغبون في النفوذ البريطاني ، بل يعادونه

(١٨١) موقف جدير اخر من مواقف العهديين في الموصل يدل على تقديرهم الصائب للامور ولما كان يبذله الانكليز من محاولات لدق اسفين بين العراقيين عن طريق استغلال العواطف الدينية والطائفية والقومية جريا على سياستهم المعروفة .

(١٨٢) راجع : «البلاد» ، بغداد ، ٢٦ تموز ١٩٥٥ .

بقوة ، لذا من الضروري تشييد السكك لكبح جماحهم » • وجاء في برقية اخرى مماثلة مؤرخة في ٢٢ تشرين الثاني من العام نفسه ان «كردستان يجب ان تترك وشأنها »(١٨٣) • ومن المهم ان نشير الى ان هذا الامر لم يكن خافيا على بعض الاوساط العراقية • فقد ورد في احدى وثائق « جمعية العهد ـ فرع الموصل» ما نصه :

« من جملة استخباراتنا أن حكومة لندن قد أمرت حكومة الاحتلال (١٨٤) باخلاء بعض المناطق الكردية شمالي زاخو والعمادية وبعض جهات عقرة من سكانها بأي وسيلة كانت » (١٨٥) •

ومن جانب آخر انتشرت انباء الانتفاضات الكردية بسرعة بين الناس في المناطق الاخرى ، فلم يكن في الامكان اخفاء مثل تلك الاحداث الكبيرة التي كانت تتكرر بين يوم وآخر • كما لعبت المنظمات السياسية السرية العاملة في مدينة الموصل على نشر أخبارها، ولاسيما ان قادتها كانوا على اتصال مباشر بعدد من زعماء منطقة بادينان وكانوا يتلقون أخبار اندحارات الانكليز بحرارة بالغة ويعملون

---

(١٨٣) راجع :
S. S. Gavan, Kurdistan. Divided Nation of the Middle East, London, 1958, PP. 29—31.

(١٨٤) في النص : « حكومة العراق » •

(١٨٥) ورد ذلك ضمن تقرير بعثه الفرع الى المركز في الشام بتاريخ ٢٧ اب ١٩١٩ (راجع : «صدى الاحرار» ، ٢٠ شباط ١٩٥٣)•

على نشرها بما تيسر لهم من سبل (١٨٦) • فقد ورد في وثيقة مهمة لـ «جمعية العهد ـ فرع الموصل» بعثتها يوم ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٩ الى مركز الجمعية في الشام ان «الانكليز لايتركون العراق الا اذا اضطروا بقوة السلاح ، اما سكان البلاد (١٨٧) فلا تنتظر منهم فائدة لانهم مشتغلون بتحصيل رزقهم ابان هذا الغلاء المستولي على العراق، وقد استخنث الكثير منهم ، فلم يبق الاعتماد بطرفنا الا على أعضاء جمعيتنا وهم قوة لايستهان بها ، وكذلك على سكان البوادي والجبال، فالكرد عصيانهم متوال على الحكومة الاحتلالية ، وفي كل يوم لهم وقائع وأخبار،وقد قتلوا سابقا حاكم زاخو ثم حاكم العمادية ، وفي أوائل الشهر قتلوا حاكم ولاية الموصل المستر بيل وحاكم عقرة••• ثم استولوا على عقرة نفسها ، فاثارتهم ممكنة •••» (١٨٨) • وبالاسلوب نفسه كان «العهد» الموصلي يزود فرع الجمعية وبعض الشخصيات في بغداد بأخبار مايجري في كردستان من وقائع ضد الاحتلال (١٨٩) •

---

(١٨٦) راجع : عبدالمنعم الغلامي ، الضحايا الثلاث ، ص ٦٢ • أكد المؤلف الشيء نفسه في الجزء الاول من كتابه الاخر «ثورتنا في شمال العراق» (راجع عنه الهامش رقم ٤٩) • وكما نلاحظ فيما بعد وردت معلومات طريفة حول هذا الموضوع في جريدتي «صدى الاحرار» الموصلية و «البلاد» البغدادية • راجع ايضا : قحطان أحمد عبوش التلعفري ، المصدر السابق، ص ٩٠ •

(١٨٧) تقصد فئات معينة من سكان مدينة الموصل •

(١٨٨) راجع : « صدى الاحرار » ، ٣ نيسان ١٩٥٣ •

(١٨٩) راجع : عبدالمنعم الغلامي ، ثورتنا في شمال العراق ، ص ٦٨•

وكما تبين وثائـق الجمعية نفسها ان أحداث كردستان وجدت شيئا من الانعكاس العملي بين الوسط الثقافي العربي في مدينةالموصل . فعندما قامت قوات الاحتلال بقيادة ليجمن بضرب بـامرني وباعتقـال شيوخها النقشبنديين في بداية اب ١٩١٩ ، رفع فرع الموصل تقريرا مفصلا عن الحادث الى المركز العام بدمشق وشعبته في حلب يـــوم ١٤ اب وردت فيه هذه النقطة التي لها مغزاها في مجال بحثنا :

« ... ولما علم أهالي الموصل بأعتقال الشيخ بهاءالدين افنـدي وأقاربه بهذه الصورة المؤلمة تألموا كثيرا وتكدرت منهم الخواطر بالنظر الى المنزلة الدينية التي يتمتع بها حضرته ، وبعد مداولات واتصالات بين بعض العلماء والكبراء والشبان على اختلاف في الميول الوطنيـة والمباديء السياسية ، قصد بعض العلماء الحاكم السياسي ليجمن في محله الرسمي للتوسط باخلاء سبيل الشيخ ورفقائه من السجـن وابقائهم تحت النظارة في الموصل فيما اذا كان مايمنـع اعـادتهم الى مكانهم ، ولكن الحاكم السياسي لما علم مقصدهم غضب غضبا شديدا وأخذ يصرخ ويتوعد ، فانصرف من عنده العلماء خائبين » (١٩٠) .

ويؤكد هذا الانعكاس لاحداث كردستان نفسه اكثرفي جواب المركز على تقرير فرع الموصل الذي ذكر بالنص :

---

(١٩٠) راجع نص التقرير في «صدى الاحرار» ، ١٣ شباط ١٩٥٣ (أسماء الذين قابلوا لجمن في مقره مذكورة في نفس العدد من الجريدة) . حول الموضوع راجع كذلك مايذكره عبدالمنعـم الغلامي في ص ٦٦ من كتابه «ثورتنا في شمال العراق» .

« ... وقد تأثرنا جدا من خصوص ضرب قرية بامرني واعتقال أكابرها وأتباعهم ، وما يقوم به الجيش المحتل من مظالم وتعسفات ، ولاشك ان هذا كله مما يدعونا الى بذل كل ما في الامكان لتخليص بلادنا ، كما يدعوكم الى التمسك بشدة في عروة الاتحاد التام والصبر والسكون الى الوقت المرهون » (١٩١) .

وعندما نفي الشيخ بهاءالدين النقشبندي الى بغداد اتصل عهديو الموصل ببعض الشخصيات في بغداد طالبين منهم الاهتمام به ورعايته كوطني تعرض لاضطهاد الانكليز (١٩٢) .

الى جانب ذلك كانت الجرائد المحلية الناطقة بلسان الانكليز ـ «العرب» ومن ثم «العراق» في العاصمة و «الموصل» في الموصل و «الاوقات البصرية» في البصرة ـ تذيع انباء كردستان بشكل ملفت للنظر ، خاصة ماكان يتعلق منها بمقتل الضباط والحكام الانكليز الذين كانت تنشر هذه الصحف ، عادة ، نبذة عن تاريخ حياة وخدمات كل واحد منهم في مكان بارز . فمثلا عندما اغتيل الحاكم السياسي لمنطقة الموصل بيل ومعاون الحاكم السياسي في عقرة سكوت كتبت جريدة «العرب» تحت عنوان «حادث مؤسف» مايلي :

« وافت أخبار من الموصل تنبيء بوفاة المستر ج. هـ. بيل

(١٩١) راجع نص الرد في «صدى الاحرار» ، ٢٧ شباط ١٩٥٣ .

(١٩٢) راجع : عبدالمنعم الغلامي ، ثورتنا في شمال العراق ، ص ٦٨.

حاكم سياسي الموصل (١٩٣) والكابتن ك. سكوت معاون حـاكم سياسي عقرة،وقد قتلهما المعادون من الاكراد في ٢ تشرين الثـاني. وتدل التقارير الواردة ان الحاكمين بينما كانا قائمين بجولة بحراسة قوة كبيرة من الخفر خرج عليهم كمين من الاعداء بالقرب مـن بيره كه‌بره ...» فقتلهما (١٩٤) . ومن الجدير بالذكر ان مقتـل الكابتن كينت سكوت ترك صدى كبيرا في مختلف الاوساط لكونـه نجل جيمس سكوت معاون سكرتير نائب الملك في الهند سابقا .

لم تمر سوى فترة وجيزة عندما نشرت الجريدة نفسها في مكان بارز على صدر صفحتها الاولى (! !) نبأ « ختام الاعمال الحربية في كردستان » الذي تحدث عن تجريد قوة «قوامها أربعة طوابـير من المشاة الهنود ومن مدفعية جبلية وثلاث فصائل من النسـاطرة » «لاقت صعوبات جمة» في شمـال شرقي الموصـل وجنـوب شرقي العمادية (١٩٥) . كما نشرت الصحف المحلية أنباء بامرني وضربها من قبل قوات الاحتلال واعتقال مشايخها (١٩٦) .

أحدثت الانتفاضة التي قادها الشيخ محمود صدى أكبر من كل ذلك في بقية أرجاء البلاد . ولم ينجم ذلك عن زخم الحركة وحجمهـا حسب ، بل كذلك عما كان يتمتع بها قائدها من سمعة في مختلـف

---

(١٩٣) نقل دون تصرف .
(١٩٤) «العرب» ، ١٢ تشرين الثاني ١٩١٩ .
(١٩٥) «العرب» ، ٢٩ كانون الاول ١٩١٩ .
(١٩٦) راجع : «العرب» ، ١٥ اب ١٩١٩ .

المناطق كسليل أسرة دينية معروفة وكأحد قادة موقعة الشعيبة ضد الانكليز في بداية الحرب ، والذي منحته ، واجداده ، احدى الاهزوجات الشعبية الجنوبية في حينه «ثلث الجنة» (١٩٧) . فكان

---

(١٩٧) في محاولة لوقف زحف القوات البريطانية اثناء الحرب العالمية الاولى عمل المسؤولون العثمانيون لتحريض العشائر العربية والكردية على الاشتراك في القتال الدائر ضد الانكليز بأسم « الجهاد » ، واستطاعوا فعلا اثارة مشاعر الكثيرين عن هذا الطريق . فلم يمر على احتلال البصرة وقت طويل حتى احتشد حوالي عشرة الاف مقاتل قرب مدينة الناصرية يدفعهم الحماس الديني لردع القوات الغازية . وكان يوجد بين هؤلاء اكثر من الف خيال كردي يقودهم الشيخ محمود ، والذين اشتركوا في المعركة المعروفة التي وقعت في نيسان ١٩١٥ بالقرب من الشعيبة . وقد جلب اشتراك هؤلاء الاكراد انتباه الناس في الوسط والجنوب حيث كانوا يستقبلونهم بحماس في كل مكان يمرون به ، وكانوا يقدمون لهم كل مايحتاجون دون مقابل . يصف احد المشتركين في قوات الشيخ محمود الامر هكذا : « ما ان وصلنا ... بغداد حتى اصطف الناس على جانبي الطريق ، يهلهلون ويكبرون ويصفقون لنا ، ويقرعون الطبول والدفوف ويرددون الاهازيج الحماسية والمدائح الدينية التي تحث على الجهاد ، كما تعالت زغاريد النسوة في الفضاء ، وهن محجبات ، يتطلعن الى الموكب من اعالي السطوح في منطقة قرب الجسر العتيق (المأمون حاليا) ... لقد خرجت بغداد بشيبها وشبابها وأطفالها ونسائها لاستقبال اخوتهم الاكراد» (راجع : حسين احمد الجاف ، دور الشعب الكردي في ثورة العشرين الوطنية التحررية ، ـ «العراق» . ٢٩ حزيران ١٩٧٨) . وانذاك ظهرت اهزوجة شعبية رددها الناس بنوعين : «ثلثين الجنة لهادينا وثلثها لكاك احمد وأولاده » او « ثلثين الجنة لهادينا وثلثها للشيخ أحمد واكراده » . ومن الجدير بالذكر ان الكثيرين من ابناء الجيل السابق لايزالون
=

من الطبيعي ان تولي الصحافة حركته اهتماما اكبر من غيرها وذلك بحكم حجمها وعدم امكان اخفائها اولا ، وثانيا لان سلطات الاحتلال كانت تريد ان تظهر نفسها بمظهر القوة وتعطي عبرة ـ حسب اعتقادها ـ لمن تسول له نفسه الخروج على ارادتها سواء من جراء تذمرها او بتاثير انتفاضة الشيخ محمود • فاذاعت عددا كبيرا من البلاغات الرسمية عن تحركات قواتها واجراءاتها • وقد نشرت الجرائد المحلية معظم هذه البلاغات في واجهة الصفحة الاولى وفي مكان المقال الافتتاحي بالذات • واكثر من ذلك بادرت سلطة الاحتلال ، مع انفجار الحركة مباشرة ، الى توزيع بيان مستقل بصفحة واحدة (٢٤٫٥ × ١٩ سم) كملحق لجريدة «العرب» البغدادية هذا نص ما ورد فيه :

= يتذكرون هذه الحوادث جيدا • فان عامل البناء سابقا الحاج عبد جرجان من السماوة والبالغ من العمر حوالي ٨٠ عاما ذكر عند استجوابه مانصه : « عندما ذهب المجاهدون الى معركة الشعيبة كان معهم «بعض اخوتنه الاكراد» ، وعددهم حوالي ١٥٠٠ رجل ، وكان قائدهم الشيخ احمد (يقصد الشيخ محمود ـ ك• م•) ، ولما مروا بالسماوة قمنا باستضافتهم في بيوتنا ، وهؤلاء جاءوا للحرب ضد الانكليز ، لنصرة امتنا الاسلامية ، لانهم اخوتنه ومسلمين ، لهذا فقد كانت هذه الهوسة تردد عندما ذهبوا للقتال في الشعيبة : ثلثين الجنة لهادينا وثلثها للشيخ احمد واكراده » (رجاء احمد ، بحث ميداني عن «ثورة العشرين» • يؤكد صاحب البحث رجاء على صدق وحماس وقوة ذاكرة هذا العامل البسيط) •

(١٩٨) راجع على سبيل المثال : «العرب» ، ٦و٧و١٠و٢٠و٢١و٢٣ و ٢٤ حزيران و ٧ و ١٧ تموز ١٩١٩ •

« الاضطراب في السليمانية »

بينما يفرغ مؤتمر الصلح قصارى جهده للتوصل الى حل لجميع المسائل بصورة تضمن السلم والرقي في العالم ، كان بعض المحركين الذين يريدون ان يصطادوا في الماء العكر يسعون منذ بضعة أشهر في اثارة المشاغب والفتن في كردستان كأن تلك البلاد لم يكفها ماقاسته من الاتراك في هذه الحرب ومانزل بها من جراء المشاغب والمنازعات بين القبائل •

وقد وافتنا الاخبار تنبيء ان أحد الشيوخ ، ويدعى الشيخ محمود الذي القيت على عاتقه تبعة الاحتفاظ بالامن والنظام في السليمانية (١٩٩) قد نكث كل عهد وقبض على زمام الحكومة وسرق خزينتها واعتقل الحكام السياسيين في السليمانية •

وقد سارت الان الى كركوك قوة كبيرة من الجنود الانكليزية مؤلفة أفرادها من جميع صنوف السلاح الحربي وهي تقصد اعادة النظام الى نصابه في الحدود الكردية • وقد جمعت اكبر شيوخ قبيلة الجاف قواتها وهي تستعد الى الاشتراك معنا على الشيخ محمود •

وقد تعهد كل من بابكر اغا شيخ عشيرة (پشدر) والسيد طه

---

(١٩٩) علما ان الوثائق البريطانية الخاصة تسمي الشيخ محمود بـ « حكمدار كردستان الجنوبية »(F. O. 371/4342, 5069) وفعلا اتفقوا معه في البداية على هذا الاساس ثم تنكروا له•

شيخ شمدينان (٢٠٠) ان يشتركا في العمل لقمع هذه الحركة الفوضوية التي لاتنتج سوى الضرر لكردستان في وقت أخذ يعود اليها العمران ويلوح مستقبلها في منظر أبهى مما كان في أي زمن من الازمان في مدة الـ ٤٠ سنة الماضية » •

وزع البيان على الناس مجانا ، فقد كتب في صدره « ملحق بجريدة العرب العدد الـ ٥٦٣ المؤرخ في ٢٧ آيار ١٩١٩ • مجانا » (٢٠١) •

وقد نشرت الصحف المحلية كذلك انباء قمع الحركة الذي استمرت عملياته لمدة اكثر من شهرين (٢٠٢) ، وخبر صدور الحكم على الشيخ محمود وتخفيضه (٢٠٣) • وبعد الاعلان عن «هدوء الحالة» بفترة وجيزة صدر في مكان بارز من الصحف بلاغ عن القيادة العامة لقوات الاحتلال عن مقتل « الحاكم السياسي للعمادية ومعاونيه » في ليلة ١٥ تموز ، وذلك «في قيام» يظهر «ان

---

(٢٠٠) كان الانكليز يحاولون ان يجعلوا من السيد طه ندا للشيخ محمود •

(٢٠١) يبدو ان البيان طبع بعناية ، فلم يرد فيه خطأ مطبعي واحد•

(٢٠٢) في ٢٩ حزيران دخلت القوات البريطانية كلعنبر (خورمال) ، وفي اواسط تموز حدثت مصادمة بين « سرايا من الجنود » وعدد من الثوار الذين فقدوا ، حسب بيان السلطة المحتلة ، عشرة قتلى (راجع البلاغات الرسمية المنشورة في «العرب» ، ٧ و ١٧ تموز ١٩١٩)•

معظم أهالي القرى المجاورة مشتركة فيه» (٢٠٤) •

وكان من الطبيعي ان تجلب اخبار انتفاضة الشيخ محمود انتباه الاوساط المعادية للانكليز في المناطق الاخرى • وقد ابلغت « جمعية العهد ـ فرع الموصل » المركز بتفاصيل الانتفاضة الى ان « تمكن الانكليز بواسطة قواتهم الكثيرة ومعونة بعض خونة البلاد من التغلب على الاكراد الثائرين في السليمانية وطاسلوجة وجمجمال »(٢٠٥) •

واخيرا فان أحداث كردستان ساعدت على كشف القناع عن وجه المحتل الجديد وسياسته الماكرة ، كما بينت انه ليس بالقوة التي لايمكن تحديها او الوقوف بوجهها في سبيل فرض ارادة الجماهير • وهي لعبت بهذا ، كما يذكر ل• ن• كاتلوف ، «دورا كبيرا في تهيئة الجماهير الكادحة من عربية وكردية للمعارك المقبلة ضد المحتلين » (٢٠٦) • وكان ذلك في الواقع بمثابة البادرة الاولى المهمة للتفاعل العضوي المباشر بين النضال التحرري للشعبين في مرحلته الجديدة والذي انتقل ايام «ثورة العشرين» الى اسلوب عملي انعكس في شكل محدود من النضال المشترك لقواهما الوطنية •

---

(٢٠٣) « العرب » ، ٢٩ تموز ١٩١٩ •

(٢٠٤) ورد ذلك ضمن رسالة بعثها الفرع الى المركز بتاريخ ١ تشرين الاول ١٩١٩ (راجع : «صدى الاحرار» ، ١٣ اذار ١٩٥٣) •

(٢٠٥) ل• ن• كاتلوف ، انتفاضة ١٩٢٠ التحررية الوطنية في العراق ، ص ١٠٦ •

الفصل الثاني

موقع الكرد في « ثورة العشرين »

من وقائع « ثورة العشرين »

لم تؤد مظاهر الاستياء والانتفاضات والخسائر في الارواح وتدهور الوضع السياسي المستمر الى تراجع الانكليز عن خططهم بالنسبة للعراق • فقد استمرت نشاطاتهم المتشعبة على الصعيدين الداخلي والخارجي لاحكام سيطرتهم على العراق ، ولحجب حق شعبه في تقرير مصيره بنفسه • وكان من الطبيعي ان يثير ذلك مختلف الفئات الاجتماعية ، وعلى رأسها المثقفون الدينيون والعلمانيون• فشهد العراق في النصف الاول من العام ١٩٢٠ تحركا سياسيا واسعا، بل وجديدا في العديد من مظاهره التي انعكست في وقائع الثورة

كذلك (١) • ولم تفت تهديدات الانكليز ومحاولاتهم لشراء الذمم من عضد الناس الذين كانوا يزدادون اصرارا على التنديد بالاحتلال والمطالبة بالاستقلال ، مما كان يقرب موعد انفجار الثورة اكثر فاكثر •

يتفق المؤرخون على اعتبار يوم ٣٠ حزيران ١٩٢٠ بداية للثورة • ففي ذلك اليوم انطلقت الشرارة الاولى من الرميثة عندما اعتقلت سلطات الاحتلال رئيس الظوالم شعلان ابو الجون فحرره رجاله من السجن بعدقتلهم لاثنين من حراسه • وقد تحولت هذه الحادثة الى السبب المباشر لتفجير البركان المتراكم من الحقد المقدس• وسرعان ما انتشرت الثورة الى المناطق المجاورة بحيث بلغ عدد المشتركين فيها ، حسب بعض القديرات ، اكثر من ١٣٠ الف شخص • وقدتم تحرير مناطق واسعة من الفرات الاوسط ، وساد بغداد توتر كبير ، وتتابعت الصدامات الدموية على مدى أشهر ثلاثة وردت تفاصيلها في مؤلفات العديد من العراقيين والاجانب (٢) • ونحن

(١) انعكس ذلك في التوتر العام الذي خيم على مختلف الاوساط والمناطق ، وفي الاحتفالات الدينية والمناقب النبوية التي تحولت في الواقع الى منابر للتنديد بالاحتلال والتأكيد على الاستقلال ، وفي الموقف الذي اتخذه الناس من الاستفتاء الشكلي الذي اجراه الانكليز بحجة معرفة رغائب السكان حول شكل الحكم الذي يرغبون فيه ، وفي النشاط الملموس الذي دب في المراكز الدينية الحساسة ، وفي التحرك غير المعهود لرؤساء العشائر وغيرهم ، وفي نشاطات أخرى كثيرة وردت تفاصيل وافية عنها في مؤلفات المؤرخين العراقيين الذين عالجوا الموضوع •

(٢) راجع الهوامش ٢ و ٣ و ١١ و ١٢ من مقدمة هذا الكتاب •

نحاول في هذا القسم التأكيد فقط على بعض الصفحات المشرقة من « ثورة العشرين » ، بما في ذلك مسائل جديدة لم يرد لها ذكر في المؤلفات الاخرى ، او لم يجر التأكيد عليها كما يجب ، او ذكرت بشأنها معلومات غير صحيحة •

تعتبر « ثورة العشرين » ذروة ما بلغته حركة التحرر الوطني للشعب العراقي منذ ظهور هذه الحركة حتى يوم انفجار الثورة • انها كانت تحولا نوعيا في الاسلوب والهدف• فان شعار الاستقلال الوطني لم يتبلور في النضال التحرري للشعب العراقي حتى وقت متأخر ، وبالضبط حتى ايام الحرب العالمية الأولى(٣) ، بينما تحول هذا الشعار عشية « ثورة العشرين » وفي أيامها الى الراية التي التف حولها الجميع• وان وثائق الثورة ووقائعها المختلفة مليئة بالشواهد المعبرة عن هذه الحقيقة اكثر من أي شيء أو هدف اخر (٤) •

كل قوى التخلف ، وجميع الاوساط المعادية للعراق حاولت على مدى قرون طوال تأصيل الخلاف والتناقض الطائفي في أعماق المجتمع ، بله في نفس كل فرد من أفراده •وقد حاول الانكليز من جانبهم تغذية هذا الورم السرطاني الخطير في الكيان العراقي • ولكن اذا باحداث « ثورة العشرين » تتحول الى تلك القوة السحرية التي

---

(٣) يومذاك اقتصرت مطاليب العراقيين ، مثل غيرهم من مواطني الامبراطورية العثمانية ، على الحكم اللامركزي •

(٤) اشرنا الى نماذج منها ضمن بحثنا عن عوامل الثورة في القسم الاول من الفصل السابق •

جمعت أبناء مختلف الطوائف في خندق واحد لتتحول بذلك الى تجربة فريدة ، ودرس بليغ في تأريخ العراق الذي لم يشهد له مثيلا حتى في أيام هولاكو العصيبة • فقد بدأت جموع الشيعة والسنة ، من العلماء وحتى البسطاء ، تجتمع في جامع واحد وفي ميدان واحد للتأكيد على المطالب السامية لكل الشعب العراقي (٥) • وقد تعدى أثر هذا الاجماع الطائفي ليشمل أبناء الاديان المختلفة كذلك • والشيء المهم والجدير بالذكر هنا هو أن هذا التحول جرى بمثابة رد ثوري ذكي على محاولات الانكليز الملتوية لاثارة النعرات الطائفية في ظروف التوتر التي سادت البلاد يومذاك • فما أن علم علماء الاسلام في بغداد بان المحتلين يحيكون خيوط مؤامرة تستهدف ضرب احتفال ديني مسيحي بايد اسلامية مصطنعة ، حتى ساروا الى كنيسة الكلدان لتفويت الفرصة على المتآمرين ، وليتحول الاحتفال المسيحي الى تظاهرة دينية رائعة مجد فيها المسلمون المسيح والكنيسة و « الجامعة الوطنية » وهتف المسيحيون اثناءها « لاخوانهم

---

(٥) عقد أول اجتماع من هذا القبيل في ١٤ ايار ١٩٢٠ بجامع القبلانية في سوق البزازين ببغداد • ولكن حتى قبل ذلك ظهرت بوادر التقارب الشيعي ـ السني • فعندما توفي السيد كاظم اليزدي كبير علماء الامامية في نيسان ١٩١٩ شاطر السنيون الشيعة احزانهم ، فاقاموا بدورهم حفلات التأبين بهذه المناسبة (للتفصيل اكثر راجع : محمد مهدي البصير ، المصدر السابق ، الجزء الاول ، ص ٨٩) •

المسلمين» (٦) • وبنفس الدافع حث الخطباء الوطنيون في الاحتفالات التي كانت تقام في جوامع بغداد ، حثوا الجمهور ، كما تشير التقارير السرية لبوليس العاصمة ، « على التأكيد لليهـود بانه لاتوجـد أي خشية من ان تتعرض دكاكينهم للسلب » (٧) •

تعتبر « ثورة امعشرين » الحلقـة الاولى في حركة التحـرر الوطني العراقي التي جربت اولى أشكال التنظيم في العمل الثـوري للجماهير • فان ظهور المنظمات ودورهـا في النضـال (٨) ، وعقـد الاجتماعات والنـدوات ، وتوزيـع وتعليـق النشرات ، واصـدار البلاغات (٩) ، بل وحتى التحول الظـاهر في مضـامين الفتـاوى ، ومحاولات تنظيم الادارة في المناطق المحررة ، والاتصال المستمر بـين

---

(٦) من الطريف ان بعض المسؤولين الانكليز كانوا حاضرين في هذا الاحتفال (للتفصيل راجع : عبدالجبار العمر ، مصرع الكولونيل لجمان ، ــ «آفاق عربية» . العدد ١١ ، تموز ١٩٧٧ ، ص ١٠٤ــ١٠٥) •

(٧) ورد ذلك ضمن الكلمةالتي القاها محمد مهدي البصير في جامع السيد سلطان علي مساء ١٦ حزيران ١٩٢٠ (راجع : « أيام من ثورة العشرين في بغداد » ، ترجمة واعداد الدكتور صالح جواد الكاظم ، ــ «العراق» ، ٢٩ حزيران ١٩٢٠) •

(٨) ولاسيما «مكتب الثورة» الذي تطرقنا الى تأسيسه في الفصـل الاول •

(٩) صدرت بلاغات عديدة منظمة عن سير القتال في ميادين الثورة المهمة ، وذلك شيء لم يعرفه العراقيون من قبل ، أو على الاقل لم يبلغوا في نضالهم السابق مستوى يقدر أهمية مثل هـذه الامور •

رؤساء العشائر ومراكز الثورة في المدن (١٠) . كل ذلك ، وغير ذلك ، يعد من المظاهر المهمة والجديدة لعنصر التنظيم في «ثورة العشرين» . وان اقامة حكومة مؤقتة في النجف ، واتخاذ بعض الخطوات لتأسيس مجلسين احدهما تشريعي والاخر تنفيذي (١١) ، من الامور التي من شأنها القاء الضوء على أهداف الثورة وعناصر التنظيم فيها .

تعتبر صحافة الثورة صفحة مشرقة أخرى من صفحاتها ، ومؤشرا مهما لما حدث من تحول نوعي ملموس في نضال العراقيين واسلوب تحركهم السياسي . ان اصدار المثقفين لجريدتين تنطقان بأسم «ثورة العشرين» لايعتبر خطوة نوعية الى الامام حسب ، بل هو ايضا تجسيد لارادة فئة مؤثرة من المجتمع العراقي حاول المحتلون الانكليز عزلها وتجريدها من وسائل العمل الفعال بين الجماهير (١٢) .

---

(١٠) يقول أحد معاصري الثورة بهذا الصدد ان الاتصالات كانت « لاتنقطع بين زعماء الثورة ومديريها في النجف وبين رؤساء العشائر الفراتية الذين أزمعوا أيضا على اعلان الثورة » . (راجع : محمد علي كمال الدين ، المصدر السابق ، ص ٨٣) .

(١١) للتفصيل راجع : المصدر نفسه ، ص ٨٧ـ٨٩ .

(١٢) ادرك الانكليز جيدا ان الشعب العراقي بلغ مستوى لايمكن له البقاء دون صحافته ، لذا حاولوا ملء هذا الفراغ الفكري بانفسهم وباسلوب يخدم وجودهم في البلاد . ومن هنا كان اصدارهم لمجموعة من الصحف منذ ان وطأت أقدام قواتهم أرض العراق ، ومن هنا ايضا جاء اهتمامهم الكبير بموضوع الصحافة والطباعة (راجع : م.و.و.
51/15—54, 1918 (Al—Arab) ; 51/13—86, 1918 (Newspapers) ; 151/15, Vol. III, 3. 1920).

يقول البصير في تعليق له على السياسة العامة للمحتلين عشية الثورة ان من « اهم الاغلاط التي أثارت سخط الشعب على الحكومة (١٣) ووقعت في نفوس المفكرين من ابنائه اسوأ وقع •••• خنق الحرية الفكرية ومنع اصدار أي جريدة سياسية غير الجرائد الرسمية ••• وقد ادت مصادرة حرية الصحف في البلاد الى رغبة لاحد لها في قراءة الجرائد السورية الحرة وصحف مصر » (١٤) • لذا لم يكن مجرد صدفة ان تحولت « حرية الصحافة » قبيل الثورة الى احد مطاليب الوطنيين العراقيين الرئيسة • فقد قدم الوفد الذي مثل احدى المظاهرات التي سبقت انفجار الثورة باقل من شهرين عريضة الى وكيل الحاكم العام البريطاني تضم مطاليب المتظاهرين ، وقد كان مطلبهم الثاني هو «اطلاق حرية الصحافة فورا ليستطيع الشعب التعبير عن شعوره الوطني ويشرح مطاليبه واحتياجاته »(١٥) • ثم ان تقارير بوليس العاصمة السرية التي تعود الى تلك الفترة تؤكد مرارا أن حرية الصحافة غدت واحدة من المطاليب الاساسية التي نادى بها الخطباء والمجتمعون في الندوات والاحتفالات الدينية • فكما يشير أحد

---

(١٣) يقصد السلطة المحتلة •

(١٤) محمد مهدي البصير ، المصدر السابق ، الجزء الاول ، ص٦٧ـ ٦٨ •

(١٥) راجع : فائق بطي . الصحافة العراقية • ميلادها . تطورها ، بغداد ، ١٩٦١ ، ص ٢٦ •

التقارير ، طالب محمد مهدي البصير في اجتماع عقد بجامع الحيدرية بتاريخ ١٧ حزيران ١٩٢٠ ، طالب الجمهور بتقديم احتجاج شديد على تأخر سلطات الاحتلال في الاستجابة لمطاليب الوطنين العراقيين حول اطلاق الحرية للصحافة • ويشير تقرير اخر الى ان المجتمعين بجامع الوزير يوم ١٥ تموز طالبوا «بصحافة حرة» (١٦) •

لذا كان من الطبيعي ان تكون لـ «ثورة العشرين» صحافتها الحرة المعبرة عن أهدافها • فقد أصدر عدد من المثقفين(١٧) جريدتين أيام الثورة في مدينة النجف المحررة ، احداهما باسم «الفرات» والاخرى باسم «الاستقلال» • واول ما يجلب النظر ان لاسمي الجريدة مغزاهما ، وكذلك الامر بالنسبة لشعاراتهما • فالهدف السياسي الاساس للثورة كان «الاستقلال» ، وقلب الثورة النابض من أجل الاستقلال كان منطقة الفرات • ومثلما ذكرنا في القسم الاول من الفصل السابق فان جريدة «الاستقلال» زينت صدر جميع أعدادها بشعار « لاحياة بلا استقلال » •

صدر العدد الاول من جريدة «الفرات» يوم السبت المصادف

---

(١٦) للتفصيل راجع : « أيام من ثورة العشرين في بغداد » ، ترجمة واعداد الدكتور صالح جواد الكاظم •

(١٧) اشرف محمد باقر الشبيبي على اصدار «الفرات» ، اما جريدة «الاستقلال» فقد اشرف على اصدارها كل من محمد عبدالحسين الكاظمي وعبدالرزاق الحسني الذي ورد اسمه على الجريدة نفسها هكذا : السيد عبدالرزاق البغدادي •

٢١ ذي العقدة عام ١٣٣٨ ، أي في ٧ اب ١٩٢٠ (١٨) • ومع أن الجريدة اعتبرت «اسبوعية ـ سياسية ، أدبية ـ تأريخية » (١٩) الا انها كانت سياسية صرفة ، ولم يصدر منها حتى ١٥ أيلول ١٩٢٠ ، يوم توزيع عددها الاخير (٢٠) ، سوى خمسة أعداد فقط ، وهـي كانت تصدر باربع صفحات وبحجم صغير نسبيا (٣٤ × ٢٠ سم)•

---

(١٨) لم يذكر حتى الان يوم صدور «الفرات» بالتاريخ الميلادي بشكل صحيح ، خاصة وان الجريدة نفسها كانت تنشر يوم صـدور اعدادها بالتاريخ الهجري فقط • فقد اعتبر الاستاذ عبدالرزاق الحسني ، ومن بعده آخرون ، ١٥ أيلول ١٩٢٠ (غرة المحرم) يوم صدور العدد الاول من جريدة الفرات (راجع : عبدالرزاق الحسني ، تاريخ الصحافة العراقية ، الطبعة الثالثة ، صيدا ، ١٩٧١، ص ٨٠ـ٨١ • راجع على سبيل المثال كذلك : منير بكر التكريتي ، الصحافة العراقية واتجاهاتها السياسية والاجتماعية والثقافية من ١٨٦٩ـ١٩٢١ ، بغـداد ، ١٩٦٩ ، ص ٧١) • وذكر البعض ان الجريدة صدرت في اوائل اب (راجع مثلا : يعقوب يوسف كوريا ، المصدر السابق ، ص١١) • أما الدكتور علي الوردي فقد اختزل يوما واحدا من تأريخ صدور الجريدة بسبب الاختلاف في تحديـد بداية شـهر ذي القعـدة بيـن الشيعة والسنة ، فيقول بان «الفرات» صدرت في ٦ اب (راجع: الدكتور علي الوردي ، المصدر السابق ، الجزء الخامس ، القسم الاول ، ص ٣١٥) • بينما بموجب جميع الجداول ، وحسبما ورد في الصحف الصادرة انذاك يصادف السبت الاول مـن شهر اب الذي صدرت فيه «الفرات» يوم ٧ اب ١٩٢٠ ، ممـا يجب تثبيته في تأريخ الثورة والصحافة العراقية •

(١٩) وردت هذه العبارة تحت اسم الجريدة •

(٢٠) ذكرت «الفرات» يوم صدور عددها الاخير ، مثل بقية أعدادها، بالتاريخ الهجري فقط ـ الاربعاء ، ٢ محرم ١٣٣٩ •

أما جريدة «الاستقلال» فقد صدر عددها الاول في ١ تشرين الاول ١٩٢٠ (٢١) بصفحتين ، ولكن بحجم اكبر من «الفرات» ، وبلـغ مجموع ما صدر منها ٨ أعداد فقط .

يعود سبب قلة الاعداد التي صدرت من الجريدتين الى ظروف الثورة الصعبة . فحسبما يذكر أحد المطلعين على قضايا الثورة ان « الاستقلال صدرت بدراهم شاب كان لاجئا للثوار » (٢٢) . ويتحدث الحسني ، الذي اشترك في تحرير هذه الجريدة ، عن «ندرة الورق» التي حالت دون صدورها بشكل منظم (٢٣) .

مع ذلك فان هاتين الجريدتين تدخلان ضمن أروع مخلفات «ثورة العشرين» وتشكلان واحدة من أهم صفحات تأريخ الصحافة العراقية . ولقد بلغتا ، ولاسيما «الفرات» ، مستوى رفيعا من حيث اللغة والمضمون ، وان لم تخل الاخيرة من بعض المبالغات الناجمة عن الرغبة في بعث روح الحماس بين صفوف الثوار ، وهو أمـر طبيعي اذا أخذنا مستوى الوعي السائد يومذاك بنظر الاعتبار .

---

(٢١) بالرغم من أن «الاستقلال» كانت تنشر تاريخ صدورها حسب التقويمين الهجري والميلادي ، الا ان بعض المؤلفين ذكروا يوم انتشار عددها الاول بشكل غير صحيح (راجع مثلا : يعقوب يوسف كوريا ، المصدر السابق ، ص ٣٢ ؛ منير بكر التكريتي، المصدر السابق ، ص ٧١) .

(٢٢) راجع : محمد علي كمال الدين ، المصدر السابق ، ص ٧٩ .

(٢٣) عبدالرزاق الحسني ، تاريخ الصحافة العراقية ، ص ٨٢ .

نشرت جريدتا «الفرات» و «الاستقلال» أخبار الثورة في جبهات القتال ، وبعضا من أحداث المناطق الاخرى ، ولاسيما مدينة بغداد ، وأنباء عالمية من شأنها ان تبين ضعف الانكليز وحراجة موقفهم في كل مكان ٠ كما كانتا تنشران مقالات سياسية بروح حماسية عالية ٠ وفي الواقع تدخل هاتان الجريدتان حتى اليوم ضمن أهم المصادر الاصيلة لدراسة مختلف أوجه «ثورة العشرين» (٢٤) ٠ بل هناك من الحقائق ما لاتتوفر عنها مصادر موثوقة غير «الفرات» و «الاستقلال» ٠ فمعاملة الثوار للاسرى البريطانيين ، مثلا ، والتي تعتبر واحدة من الصفحات المشرقة للثورة ، وجدت لها انعكاسا واضحا في جريدة «الفرات» ، مما يعطي المؤرخ امكانية أفضل للوقوف على نفسية ومرامي الذين قادوا الثورة ٠ وفيما يلي نقتطف جزءا مما ورد في جريدة «الفرات» بصدد هذا الموضوع مؤشرا لاحدى صفحات الثورة الناصعة ، ودليلا على أسلوب صحافة الثورة الرفيع ٠ كتبت «الفرات» ضمن مقال مفصل في عددها الخامس تخاطب وكيل الحاكم البريطاني العام قائلة :

« ٠٠٠ هل يقابل بين رحمتنا ورحمتكم ؟ ٠ فهي عندكم تبعيد الابرياء من العلماء واولاد الفقراء والزعماء وتعذيب المنفيين والاسراء يئنون فيه القيود الثقيلة والاغلال المؤثرة ، قيود لاتصبر عليها أعناق الفهود ، أما عندنا فلطف بالاسير ، ونظرة الى الاجنبي ملوءه العطف ،

---

(٢٤) بالرغم من ذلك فان جريدتي «الفرات» و «الاستقلال» لم تستخدما لدراسة أحداث ودوافع «ثورة العشرين» الا في نطاق ضيق ٠

فتتفقد شؤونه ، ونرعى أحواله ، ونسهر لترويحه ، ونحرص على حياته ، فالاسير عندنا غير أسير ، والاجنبي كالوطني نساويه في الحقوق ونواسيه في كل شيء ... أخلاق أخذناها من شريعتنا ، وفضائل تلقيناها من مدنيتنا وكبارنا، واقرأوا رسائل علمائنا في الرفق باسراكم، والرحمة بمرضاكم ، انظروا كيف اوكل المقام الروحاني أمره الى من لزمه بذلك من المشاهير فكتب اليه الرسالة الاتية :

« بسم الله الرحمن الرحيم . سلام عليك ، وثناء على اخلاصك . وبعد ، فغير خفي على نباهتك ان للاسرى في الشريعة الاسلامية مكانة عالية ، فالعناية بهم فرض ، والتوجه الى اكرامهم حق ، واني اوصيك ، أطال الله حياتك ، بتعهدهم على الاتصال ، وتفقد أحوال صحتهم ومعاشهم ماداموا وديعة مقدسة ، وأمانة محترمة ، فيلزمك البذل لهم ، والتوفير عليهم ، ويجب تصديك لتحقيق راحتهم أكثر من الايام الماضية ، واني قوي الامل بانك تنشط الى هذا التكليف لانه شرعي ، مدني ، انساني ، فواظب على الانفاق عليهم حتى يتبين الى نفقاتهم مورد خاص ، فقد اعتمدتك واوكلت ذلك الى عهدتك والزمتك به ، ولاعذر لك ، ودم مؤيدا . شيخ الشريعة الاصفهاني » .

هذا مثال صغير من رحمتنا ، فهل أظهرتهم لنا شيئا من رحمتكم ؟ » (٢٥) .

---

(٢٥) «الفرات» ، العدد الخامس ، ٢ محرم ١٣٣٩ (١٥ أيلول ١٩٢٠) .

ومن الجدير بالذكر ان قيادة الثورة نشرت في ٢٨ تموز ١٩٢٠ منشورا خاصا بصدد الاسرى ورد فيه :

« لقد جيء قبل امس بالاسرى من الكفل الى النجف والكوفة ، وكان عددهم ١٤٤ ، منهم ٨٠ بريطانيا فيهم ضابطان ، و ٦٦ هنديا بين مسلم ووثني وسيك . فخرج الناس لاستقبالهم . ووكل العلماء والنواب والاشراف والرؤساء بهم من يتعهدهم ويقضي حوائجهم . فزار المسلمون منهم حرم الامام ، ثم سيروا مع رفاقهم الى الكوفة في العربات ، *تحرسهم ثلة من رجال الخفر الوطني . فوصلوا الى الكوفة،* واجتمعوا مع اخوانهم، وقدمت لهم موائد الطعام، فأكلوا وزال وجلهم وظهر سرورهم . ثم ارسلوا الى ابي صخير (مقر الاسرى) بتمام الهدوء . فحافظ العرب على نظام الاسرى وقوانينه ، وبالغوا في اكرامهم واحترامهم ، ووزعوا عليهم مبلغا من النقود ، وهيأوا لهم علب السجاير والمواد الغذائية الاوروبية ، وغير ذلك مما لم يكن مباحا للاسرى في الحرب عند الدول والحكومات »(٢٦) .

ومن خلال جريدة « الفرات » كذلك يمكننا الوقوف على صفحتين بارزتين مجهولتين تخصان بعضا من مواقف «ثورة العشرين» التي لها مغزاها الخاص . فان «ثورة العشرين» هي اول حركة سياسية عراقية اعطت في مثل ذلك الوقت المبكر تقييما صحيحا لمسألة النفط أولا

---

(٢٦) مقتبس من : الدكتور علي الوردي ، المصدر السابق ، الجزء الخامس ، القسم الاول ، ص ٣١٠-٣١١ .

ولشخصية نوري السعيد ثانيا (٢٧) • ففي عددها الثاني نشرت جريدة «الفرات» صورة الاحتجاج الذي قدمه عدد من العراقيين المؤيدين للثورة ، والذين شكلوا قبيل انفجارها « المؤتمر العراقي » في سوريا، الى الحكومة البريطانية ، والى « سائر الدول » بشأن « منابع الزيت في العراق » فيما يلي نصه :

« نصت المادة ١٢٢ من مواد قانون عصبة الامم على الاعتراف باستقلال الامة العراقية على ان تنال المشورة الادارية بطريق الانتداب ، وفضلت رأي الشعب المستقل على غيره في أخذ هذه المشورة •

فعملا بهذا النص الصريح قرر الشعب العراقي مصيره واعلن استقلاله ، ولكن رفض كل انتداب ، واذاع قراره هذا وابلغه الى الحلفاء والدول المعظمة طورا بواسطة المؤتمر العراقي ، وتارة بواسطة الجمعيات السياسية داخل القطر وخارجه •

لقد بدأت السلطة الانكليزية المحتلة في العراق ، رغما عن هذا النص الصريح ، وخلافا لرأي العراقيين العام ، تتصرف بموارد البلاد تصرف الحاكم المطلق ، فجاهر المستر لويد جورج بوضع يد الحكومة الانكليزية على منابع الزيت في العراق ، وتخصيصها لسد

---

(٢٧) من الغريب ان جميع المؤلفين الذين استخدموا صحيفتي «ثورة العشرين» مصادر لبحوثهم لم يتطرقوا الى هذين الموضوعين المهمين •

نفقات الادارة البريطانية في البلاد تخصيصا لا مسوغ ولا مبرر لـه بوجه من الوجوه •

وعلى هذا فنحن اعضاء المؤتمر العراقي نرفض باسم الامة العراقية هذا التصرف المطلق الغير المشروع ، ونحتج عليه ، ونذيع ما يأتي :

أولا ـ تحتفظ الامة العراقية لنفسها ، لا لغيرها ، بجميع موارد البلاد ، ومن جملتها منابع الزيت ؛

ثانيا ـ تحتفظ الامة العراقية لنفسها حق اعطاء الامتياز باستغلال(٢٨) هذه المنابع لمن تشاء ؛

ثالثا ـ نفضل الاتفاق الذي جرت عليه الحكومة العثمانية قبل الحرب بشأن هذه المنابع •

هذا احتجاجنا نرفعه اليكم وتقبلوا في الختام احتراماتنا الفائقة »(٢٩) •

وفيما يلي نص وثيقة مهمة اخرى نشرتها « الفرات » ، وهي تعتبر اول تقييم صحيح لشخصية نوري السعيد الذي أصبح بطل الميدان السياسي الرسمي للعراق على مدى أربعين عاما اعقبت «ثورة العشرين» • وتزداد أهمية الوثيقة اكثر اذا تذكرنا ان نوري السعيد كان يعتبر يومذاك احد الوطنيين العاملين في سبيل القضية العربية ، وانه كان

(٢٨) ويرد في النص «باستقلال» خطأ •
(٢٩) «الفرات» ، العدد الثاني •

وأحدا من أنصار الامير فيصل المقربين في سوريا ، والذي لم يقف احد بعد على دقائق صلاته السرية مع الانكليز (٣٠) وعلى ايمانه المطلق بانه « اذا كان نهر دجلة لا يزال يجري ، فما ذلك الابفضل الانكليز »(٣١) . وعلى ما يبدو ان الانكليز عقدوا النية على ارسال نوري السعيد للاتصال بالزعماء العراقيين عندما اقتربت ازمة البلاد من الانفجار.وعندما احس أعضاء «المؤتمرالعراقي»(٣٢) بذلك بعثوا برسالة عاجلة الى « رؤساء الشامية في النجف الاشرف » خصصت لها جريدة « الفرات » اكثر من نصف الصفحة الثالثة من عددها الثاني. تقول الرسالة نصا :

« سوف ترفعون شأن القطر العراقي وتعلون مكانته في انظار الامم والشعوب بهذا المظهر الشريف الذي تظهرون به من حين لاخر كأمة راقية متحدة تطلب حقها الطبيعي بالاستقلال التام ، مما حمل كثيرا من الامم على ان تفكر فيكم

---

(٣٠) اتضح ذلك كليا بعد الكشف عن الوثائق السرية البريطانية ، أي بعد مرور عشرات السنين على التقييم الصحيح الذي نشرته جريدة «الفرات» أيام «ثورة العشرين» .

(٣١) القول لنوري السعيد (راجع : أسعد داغر ، مذكراتي على هامش القضية العربية ، ص ١١٢) .

(٣٢) حسبما تذكر الوثائق البريطانية السرية فان نوري السعيد كان يتجسس على أعمال «المؤتمر العراقي» في سوريا ، ويزود المصادر المختصة بتقارير سرية مفصلة عنها (راجع : الدكتور فاروق صالح العمر ، حول السياسة البريطانية في العراق (١٩١٤ــ١٩٢١) ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ٦٤ــ٦٥) .

وثوقهم بمصيركم ، وخصوصا تلك الدولة التي تحتل جيوشها بلادكم اليوم • فان حركات ساستها وتصريحات رجالها وأقوال صحفها تدل دلالة واضحة على ما يخامرها من القلق العظيم والاهتمام الكبير باحوال العراق •

أصبحت هذه الدولة تسعى السعي الحثيث للمحافظة على نظام حكمها الحالي في العراق مع تغيير طفيف تهدئة للخواطر الثائرة وتسكينا للنفوس في الوقت الحاضر (٣٣) ، وقد علمت انها لا تنجح وحدها في الوصول الى غايتها هذه بدون مساعدة بعض أبناء البلاد نفسها ، فبذلت جهدها للحصول على ذلك ، وتوهمت انها نجحت في تسخير بعض العراقيين الى مآربها هذه •

ربما يحضر اليكم من الشام (الجنرال نوري السعيد) ليقوم بهذه المهمة المشار اليها التي أناطتها به السلطة البريطانية ، الا وهي توطيد أركان الاحتلال وتثبيت أقدامه في العراق بمفاوضة العراقيين ودرس أفكارهم وتسكين خواطرهم وتعليلهم بالاماني والمواعيد الكاذبة ، وربما اتخذت السلطة المحتلة جميع الوسائل المادية والمعنوية التي من شأنها ان تجعل لكلامه شأنا ، ولشخصه قبولا أينما حل ، فتكثر من ذكر اسمه مقرونا بالجهر والثناء عليه ، وعلى مبادئه ، وتتظاهر باحترامه وتبجيله •

---

(٣٣) وهذا ماحدث فعلا •

لأيحتاج بعد هذا ان نبين لكم واجبكم الذي تقومون به ازاء هذا الرجل اذا فارقنا اليكم بهذه المهمة ، وخصوصا الاجتهاد بمقاطعته ، والاعراض عن اقواله ، وتحذير الناس من الوقوع في حبائله ، والسهر على تتبع خطواته ، ومراقبة حركاته ، وعرقلة مساعيه •

لا تبالوا ، ايها الاخوان ، ولا تقيموا له وزنا ولو ادعى الكلام باسم الملك حسين والملكين فيصل وعبدالله ، او باسم المؤتمر العراقي ، أو اي جمعية اخرى ، فانه غير مفوض ، ولا مرخص ، وهكذا يجب عليكم الاعراض عن كل أحد يرد عليكم من الشام ، وعدم مذاكرته بمسائلكم ما لم يكن بيده تفويض من المؤتمر العراقي الموجود في حاضرة الشام•

فلا تفتروا عن ترويج دعوتكم ، وبث روح النهضة في الامة بكل وسيلة مع المحافظة على قواكم لاستعمالها في حين الحاجة ، هذا ونحن ننتظر موافاتكم لنا بالاخبار الطيبة على الدوام • وفقكم الله للخير والسلام » (٣٤) •

في الامكان ايراد امثلة اخرى غير قليلة من شأنها تجسيد صفحات « ثورة العشرين » المشرقة والتي تعتبر في واقعها ردا منطقيا على جميع انواع محاولات الانتقاص من تلك الهبة الجماهيرية • ومما لاشك فيه تشكل بعض صور بدايات النضال العربي ـ الكردي المشترك أيام الثورة صفحة مشرقة اخرى جديرة بالاهتمام •

---

(٣٤) «الفرات» ، العدد الثاني •

المساهمة الكردية في « ثورة العشرين »

اتخذ اشتراك الكرد في « ثورة العشرين » طابعا عفويا في الغالب، وهو لم يجر بشكل واحد أو بنفس الزخم•ففي بغداد اشتركت الاوساط الكردية في المظاهرات والاجتماعات الجماهيرية التي نظمت هناك عشية الثورة وفي أيامها (٣٥)• وكما يشير الاستاذ رفيق حلمي في مذكراته فقد اشترك مصطفى بك ، الذي كان من الاكراد المعروفين ببغداد ، في النشاطات المعادية للانكليز أيام الثورة بحماس عرضه لملاحقة المحتلين • وكان جلال بابان واحدا من مؤسسي جمعية « حرس الاستقلال » القلائل (٣٦) التي لعبت دورا ملموسا في أحداث العراق السياسية أيام الثورة وقبلها ، وقد انتخب عضوا في الهيئة الادارية للجمعية التي اكدت في أحد بنود منهاجها الاساسي على ضرورة العمل «قبل كل شيء» في سبيل «توحيد كلمة العراقيين على اختلاف مللهم ونحلهم » (٣٧) • وقد تعاون حمدي باشا بابان بدوره

---

(٣٥) ينقل رفيق حلمي في مذكراته صورا واقعية عن أحداث صيف العام ١٩٢٠ في بغداد وذلك لاشتراكه فيها • وفي الواقع يصلح الجزء الثالث من مذكراته مصدرا أصيلا لالقاء بعض الضوء على تلك الاحداث •

(٣٦) محمد مهدي البصير . المصدر السابق ، الجزء الاول ، ص ١٣٧ •

(٣٧) نفس المصدر ، الجزء الاول . ص ١٣٨ •

مع المعارضة الوطنية في بغداد أيام الثورة (٣٨) •

والاهم من كل ذلك في هذا المجال ان عددا من أنشط الوطنيين الاكراد في تلك المرحلة ، من أمثال رفيق حلمي وفائق توفيق (المعروف بفائق طابو) والمحامي رفيق توفيق من السليمانية وكريم الحاج عبدالله من كركوك ، حاولوا عن طريق مصطفى بك الانف الذكر اقامة نوع من الصلات مع الثوار في بغداد • الا أن اضطرار مصطفى بك للاختفاء أدى الى الا تثمر هذه الفكرة،علما بأن الممثلين الاكرادقد اجتمعوا مرة واحدة بعدد من الشباب العرب في دار مصطفى بك (٣٩)•

امتدت نيران الثورة الى منطقة ديالى منذ السادس من اب ١٩٢٠ ، وسرعان ما أصبحت كل من بعقوبة ودلتاوة وشهربان و دلي عباس وما والاها من مناطق خارجة على سلطة الاحتلال • وقد وجه ثوار هذه الجبهة بعض الضربات الموجعة الى قوات الاحتلال ومصالحها • فتحول ذلك الى السبب المباشر لانخراط عدد من العشائر الكردية المجاورة في صفوف الثورة • وكانت عشائر خانقين السباقة في ذلك ، وبشكل خاص عشيرة دلو المعروفة التي قاد كريم خسرو بك عن

---

(٣٨) وهو غير حمدي بك بابان الذي كان على علاقات جيدة مع الانكليز منذ أن احتلت قواتهم بغداد في العام ١٩١٧ • أما حمدي باشا فقد تحولت داره الى منتقى لزعماء بغداد المعارضين للاحتلال (راجع : محمد مهدي البصير ، المصدر السابق ، الجزء الاول ، ص ١٤٢) •

(٣٩) للتفصيل راجع : رفيق حلمي ، المصدر السابق ، الجزء الثالث، ص ٧٦ـ٧٧ ، ٨٢ •

جدارة هجماتها على قوات الاحتلال • وقد كان كريم بك ، واخرون من زعماء المنطقة ، على اتصال بالشيخ محمود أثناء انتفاضته في العـام ١٩١٩ •

وجه الثوار الاكراد ضربتهم الاولى في ١٤ اب عندمـا حرروا قزلرباط ، ثم أحرقوا مقر حكومة الاحتلال في خـانقين ، وهـاجموا مؤسسات شركة النفط الانكلو ـ ايرانية في نفطخانة ، كما قطعوا خط السكك بين بعقوبة وخانقين ، وأحرقوا محطة قوره‌تو ، ودمروا أحد جسور السكة الاساسية مع الخط المتوجه شمالا الى كنكربان • وقـد اضطر معاون الحاكم السياسي في خانقين للانسحـاب مع اسرتـه الى قوره‌تو ، بينما وقع الطبيب الانكليزي أسيرا في قبضة الثوار (٤٠) الذين تعهدوا له بالحفاظ على حياته لقاء عنايته بالجرحى والمرضى • وقـد أنزل الثوار العلم البريطاني ورفعوا مكانه العلم العثماني ، وعينـــوا خورشيد بك حاكما للبلدة ، كما قاموا باطلاق سراح السجناء وبتوزيع موجودات المخازن الحكومية على الناس (٤١) •

تركت أحداث خانقين صدى جيدا في النفوس ، لاسيما لان قيادة الثورة كانت مهتمة بتوسيع جبهات القتـال ، وقطـع خطـوط

---

(٤٠) ل• ن• كاتلوف ، انتفاضة ١٩٢٠ الوطنية ـ التحرريـة في العراق ، ص ١٣٧ ؛

A. L. Haldane, Op. Cit., PP. 157—158.

(٤١) راجع : فاضل كريم ، خانقين خلال ربع قرن (١٩٠٠ـ١٩٢٥)، ـ « التاخي » ، ١٤ حزيران ١٩٧٣ •

مواصلات العدو مع ايران • وكان من الطبيعي أن يكون رد فعل الانكليز عليها كبيرا ، لانهم كانوا يخشون كثيرا ان تتعرض خطوط مواصلاتهم مع ايران للخطر لما كان له من تأثير على الامدادات العسكرية التي كانت تأتيهم من هناك • ففي أيام الثورة اضطر المحتلون لان يسحبوا من قطعاتهم الموجودة في ايران ما لايقل عن ١٤ ألف رجل (٤٢) •

هكذا اضطرت قيادة قوات الاحتلال الى اتخاذ اجراءأت عاجلة لقمع الانتفاضة في منطقة خانقين ، والعمل للحيلولة دون انتشارها الى المناطق المجاورة ، بما في ذلك المناطق الايرانية حسب توقعات المسؤولين الانكليز انفسهم (٤٣) • وقد أشرف الكولونيل لاكين (Lakin) على العمليات العسكرية في هذه الجبهة ، فارسل قوة بامرة الضابط ب• ادوارد (D. B. Edward) بقصد «وضع نهاية سريعة للاضطراب » ، ولكن تصدت لها مجموعة من الثوار قوامها ، حسب المصادر الانكليزية ، « ٤٠ شخصا من الجبليين » • وفي ١٦ اب هاجمت قوة من الثوار مؤلفة من حوالي ٢٠٠ مسلح محطة قطار خانقين حيث تركزت قوات الكولونيل لاكين ، فوقعت معركة طاحنة بين الطرفين قتل خلالها من الثوار فقط ما لايقل عن ١٥ شخصا •

---

(٤٢) ل• ن• كاتلوف ، انتفاضة ١٩٢٠ الوطنية ـ التحررية في العراق ، ص ١٩٢ •

(٤٣) A. L. Haldane, Op. Cit., P. 157

اضطر الانكليز ، بعد تفاقم الوضع بهذا الشكل ، الى جلب تعزيزات عاجلة بواسطة السيارات من قزوين وكرند ، كما استعانوا برجال بعض العشائر الموالية لهم للحد من نشاط الثوار (٤٤) • وبهذا الاسلوب فقط تمكن المحتلون الانكليز من اعادة سيطرتهم على خط خانقين ، ودخلوا المدينة نفسها حيث فرضوا على سكانها ، وعلى عدد كبير من القرى المجاورة غرامات حربية كبيرة ، كما اضطر عدد كبير من الناس الى ترك مناطقهم واللجوء الى قصر شيرين في الجانب الاخر من الحدود •

بالرغم من ذلك فقد احتاج الانكليز الى اتخاذ اجراءات اخرى لفرض سيطرتهم الكاملة على هذه المنطقة الحساسة ، ولاسيما ان بعض التقارير أشارت الى ان الثوار اشتروا كميات كبيرة من الاسلحة ، وان من المتوقع ان يرتفع عددهم بشكل ملموس بحيث يبلغ عشرة الاف رجل (٤٥) • ومما أدخل الحذر في نفوس الانكليز أكثر أن التقارير نفسها أشارت الى احتمال انضمام العشائر الكردية الايرانية الى الثورة ، بينما كانوا هم يرومون تحويلها برمتها الى اداة لقمع حركات التحرر في المنطقة • وقد عزز هذه التوقعات قيام حوالي ٣٠٠ من رجال العشائر بالهجوم في ٢٥ اب على القوات البريطانية التي كانت تقوم باصلاح الخط الحديدي بين خانقين وقزلرباط ، والتي انقذتها التعزيزات العاجلة التي جاءتها من خانقين ، فاضطر الثوار

(٤٤) Ibid, PP. 158—159

(٤٥) Ibid, PP. 160—161

للانسحاب بعد أن استشهد منهم حوالي ٤٠ شخصا •

ساعدت بعض الظروف الانكليز على اعادة سيطرتهم بالتدريج الى جميع مناطق خانقين • فانهم بدأوا يعتمدون بشكل متزايد على رجال العشائر الموالية لهم • ففي ٢٥ اب ، مثلا ، استطاع الكابتن مور (J. B. Moore) بمساعدة عدد كبير من مسلحي عشيرة سنجاوي توجيه ضربة الى أحد الرؤساء المعادين وتخريب كل ما أقام من استحكامات استعدادا للهجوم على قوات الاحتلال• وقد لجأ المسؤولون الانكليز الى تعزيز مثل هذا الاتجاه الخطير عن طريق الاغراء والحرب النفسية • اذ انهم وعدوا رجال الكلهور والسنجاوي، مثلا ، بدفع ٥ روبيات لكل واحد منهم ، واطلاق يده لنيل مايستطيع أخذه من الغنائم • وقد جاء في منشور للقائد العام لجيش الاحتلال ا• هالدين ، موجه في ٣ أيلول الى «مشائخ لواء بعقوبة وعشائرها» ما نصه :

« نخبركم بأننا قد صممنا على ارسال العساكر الى السكة الحديدية في بعقوبة وقوره‌تو وكنكربان لفتح خط مواصلاتنا مع ايران (العجم) • وكما تعرفون ان هذه الثورة قد صارت سببا للالام والشدائد وازهاق النفوس في نقاط عديدة من لواء بعقوبة ، وقد تعطلت التجارة، وأصبح الناس خائفين من السفر الى أوطانهم • وقد سررت جدا حينما علمت ان بعض العشائر لم تشترك في هذه القلاقل الاخيرة • والامل انهم سيبذلون خصوصا جهدهم كي لايقع هجوم على الحكومة فيما بعد ، ويقطع دابر المفسدين الذين يقطعون الطريق الآن ،

ويسلبون الابرياء في قراهم .

فقد صدرت الاوامر الى العساكر بأن لايبادروا بقتال العشائر ، او القرى أثناء سيرهم الى السكة الحديدية اذا لم تقع لهم معارضة ، أو لم يهاجموا السكة الحديدية ، ولكن يمكنكم ان تروا بأنفسكم أن الجيوش المحتشدة تتكون من رجال أقوياء يتمكنون من عقاب أي عشيرة تتجرأ على المهاجمة .

ولذلك نعاهدكم بأسم الدولة البريطانية المعظمة ، ونؤمن مشايخ العشائر والفخوذ الذين لم يشتركوا في القلاقل الاخيرة ، فليرفعوا علما أبيض ، ويحضروا حالا بين يدي حضرة الجنرال كوننهام رئيس الاعمال العسكرية ونائبي العسكري ، ولهم حظ وبخت ، وعندئذ تقدرون على مساعدة الجنرال المشار اليه لاعادة الامن في لواء بعقوبة . واما بعض الفخوذ الذين جاهروا بالعداء ، وارتكبوا القتل والمظالم ، فلهم يوم عصيب .. هو لدين القائد العام لجيش الاحتلال » . ومن الجدير بالذكر ان المنشور طبع في أبرز مكان على الصفحة الاولى من جريدة «العراق» (٤٦) .

لم تبق هذه المناورات بدون نتائج ملموسة. ففي أواخر أيلول نشرت سلطات الاحتلال في بلاغ رسمي لها نبأ «خضوع ٢٢ شيخا من شيوخ لواء ديالى وقبولهم لشروطها » (٤٧) . وسرعان ما نشرت

---

(٤٦) راجع : «العراق» ، ٦ أيلول ١٩٢٠ .
(٤٧) راجع البلاغ الرسمي ليوم ٢٧ أيلول في جريدة «العراق» ، ٢٩ أيلول ١٩٢٠ .

« مضبطة شيوخ لواء ديالى » التي تضمنت أسماء عدد كبير جدا من رؤساء العشائر الذين استسلموا دون قيد أو شرط (٤٨) • وهكذا بدأ يتبدد التفاؤل السابق من الانباء الواردة من بعقوبة والخالص وشهربان وغيرها من المناطق التي دخلتها القوات البريطانية تباعا ، فارضة عليها غرامات كبيرة ، ومستخدمة أشد الاساليب قسوة لفرض حكم الاحتلال من جديد • وكما كان متوقعا ، فت كل ذلك من عضد الثوار وعزائمهم في المناطق الاخرى • فجاء اسم خانقين للمرة الاخيرة في البلاغ الرسمي الصادر يوم ٤ تشرين الثاني ١٩٢٠ بهذا الشكل : « واطلقت النار في الليلة الماضية على موقع موسى عثمان على بعد ٩ أميال من خانقين الى الشمال » (٤٩) •

لم يبق أمام ثوار خانقين تحت ضغط القوات الانكليزية والمرتزقة سوى اللجوء الى المناطق الجبلية الوعرة والتخطيط للعبور الى الجانب الاخر من الحدود • وقد توالت المؤامرات ضدهم ، نجحت احداها عندما تمكنت شرذمة من السنجاويين من اغتيال عدد من زعماء الحركة كان كريم خسرو بك واحدا منهم •

امتدت نيران الثورة في نفس الوقت تقريبا الى منطقة كفري التي تأثرت ، حسبما يبدو ، بانباء نجاحات الثوار في الوسط

---

(٤٨) راجع نصها في «العراق» ، ٧ تشرين الاول ١٩٢٠ ٠

(٤٩) راجع البلاغ في «العراق» ، ٨ تشرين الثاني ١٩٢٠ ٠

والجنوب (٥٠) والتي كانت تصل هذه المناطق مع شيء كثير من المبالغة (٥١) • وكان لاحداث خانقين تأثيرها المباشر على كفري ، خاصة وان ابناء عشيرة دەلو الموزعين على المنطقتين المتجاورتين كانوا يشكلون قوة الثورة الاساسية هناك • وكما تشير بعض المصادر فقد جرى اتفاق مسبق بين فرعي العشيرة على القيام ضد المحتلين الانكليز في وقت واحد (٥٢) •

وقد توفرت جميع عوامل الاستياء من الوجود البريطاني في هذه المنطقة • فمثل العديد من حكام الانكليز لم يحسن الكابتن سالمون (G. H. Salmon) ومساعده التصرف مع سكان كفري

---

(٥٠) ننقل أدناه مايرويه الاستاذ عبدالرزاق الحسني بهذا الصدد : « كان أهل كفري يتشكون من سلوك حاكمهم السياسي الكابتن سالمون مر الشكوى ، لما كان يوجهه اليهم من اهانات مقصودة ، وما يفرضه عليهم من غرامات لامسوغ لها ، وكان في بلدية كفري موظف بريطاني ـ هندي لايقل عن سالمون في سلوكه الشائن وتعسفه البغيض • وقد مر بقصبة كفري في اب ١٩٢٠ السيد سليمان فتاح ، أحد الشبان الوطنيين في بغداد ، فلما سمع الاهلين يتشكون من هذين الموظفين ، أخذ يسرد على الرؤساء والمتنفذين حوادث الثورة في الفرات الاوسط ، وكيف أن ظل الاحتلال البريطاني في العراق يسير نحو الزوال بخطى سريعة ، الامر الذي أدخل في روعهم ان قيامهم في وجه الحكومة أمر لامناص منه •••» (عبدالرزاق الحسني ، الثورة العراقية الكبرى ، ص ١٨٥) •

(٥١) راجع : الدكتور علي الوردي ، المصدر السابق ، الجزء الخامس ، القسم الثاني ، ص ٤٢ •

(٥٢) راجع : فاضل كريم ، خانقين خلال ربع قرن ، ـ «التآخي» ، ١٣ حزيران ١٩٧٣ •

الذين زاد استياؤهم اكثر جراء محاولاته لفرض الموالين للانكليز في المراكز الحكومية الحساسة ، ولاطلاق يدهم للتصرف مع رجال العشائر وغيرهم ، كما يشاؤون ، ولاعتماده المطلق عليهم في جمع الضرائب ، فتحول أخلص اتباعهم الى شرطة غير نظاميين أطلق الناس عليهم اسم « بال ـ باز » (٥٣) • وكان الشيخ حميد الطالباني أكثر الرؤساء حظوة لدى المحتلين الذين آزروه بشتى السبل ، خاصة وقد كان مع نجله الشيخ عبدالوهاب الطالباني على اتصال مباشر بهم قبل انتهاء الحرب العالمية الاولى واحتلال كل البلاد من قبل القوات البريطانية (٥٤) • وكان سالمون يريد تعيين الشيخ حميد قائمقاما على المنطقة ، مما أثار حفيظة اعدائه أكثر ودفعهم الى حمل السلاح والتحصن في جبل باوەشاسوار المطل على بلدة كفري اعتبارا من ٢٢ اب • فيعتبر ذلك اول شرارة للثورة في هذه المنطقة •

كان يقود الثوار في منطقة كفري ابراهيم خان أحد صغار رؤساء عشيرة دەلو (٥٥) المؤيدين للشيخ محمود ، يساعده وەيس بك الذي كان يشغل مركزا ادنى منه في العشيرة نفسها • وقد وقفت

(٥٣) كان هؤلاء الشرطة غير النظاميين يشدون على سواعدهم شارة بيضاء فاطلق الناس عليهم اسم «بال باز» (بال في الكردية يعني العضد وبازك الابيض) (للتفصيل اكثر راجع : مكرم الطالباني ، المصدر السابق ، ص ٦٠ـ٦١) •

(٥٤) راجع : م• و• و• 8/12 (Khanaqin, 1918—1919)

(٥٥) هذا هو الشائع عن ابراهيم خان ، الا أن الدكتور مكرم الطالباني يؤكد انتمائه الى عشيرة (هرمزيار ـ ورمزيار) (راجع كتابه : ابراهيم خان ثائر من كردستان) •

الى جانب الثورة كذلك بعض فخوذ الجـاف ، ولاسيمـا روغزايي وترخاني • كما كان زعيم الانتفاضة ابراهيم خان على علاقات وديـة مع عشيرة البيات ، وبعض العشائر العربية في المناطـق المجـاورة ، ولاسيما مع عشيرة العـزة •

حاول سالمون في البداية اقناع ابراهيم خان بالعدول عن فكرة الانتفاض ضد السلطة ، فذهب بنفسه الى جبل باوەشاسوار يرافقـه عدد من الرؤساء الموالين ، منهم جميل بك بابان والشيخ عبدالوهاب الطالباني • الا ان ابراهيم خان لم يكتف بعدم الاستجابة لهذه المحاولة حسب ، بل أمر كذلك بحجز الكابتن سالمون في قريته (ثاوايـسـي ابراهيم خان) • وقد تمكنت عقيلة سالمون من انقاذ نفسها باللجوء الى الحامية الانكليزية المتمركزة في كنكرەبان المجاورة (٥٦) التي تحولت الى ملجأ للاعداء ومركز لمناوراتهم • وهكذا تم تحرير بلدة كفري نفسها التي انتقلت نهائيا الى قبضة الثوار في ٢٤ اب • وقد ذكـر البلاغ الرسمي عن أحداث كفري مايلي :

« أما (رجال ـ ك• م•) قبائل لواء كركوك فانهم غير ساكتين، وقد هجموا على كفري وأسروا معاون الحاكم السيـاسي • على ان فصائلنا المرابطة على طول الخط الممتد من كفري الى ديالى هي سالمة• وتفيد الانباء ان العصاة الذين هجموا على مواقعنا قد منوا بخسائـر

---

(٥٦) A. L. Haldane, Op. Cit., PP. 244—246

فادحــة » (٥٧) ٠

حاول الانكليز مرة أخرى حمل ابراهيم خان على التراجع ، فارسلوا اليه وفدا ثانيا من الوجهاء عرض عليه ٥٠ ألف روبية ومنصب قائمقام كفري لقاء القائه للسلاح والافراج عن سالمون ٠ الا أن ابراهيم خان لم يخضع لهذه الاغراءات ، وأصر على عدم عـودة الانكليز الى كفري ، وتعهد بالافراج عن سالمون لقاء السماح للشيخ محمود بالعودة من منفاه في الهند والذي تحول ، حسب اعترافات التقارير البريطانية الخاصة ، الى مطلب عام للجماهير الكردية يومذاك (٥٨) ٠

تطورت الاحداث الثورية في منطقة كفري بسرعة ، فقد انضـم فلاحو قرى فكه وعين شكر وزەرداو وجبـارة الواقعـة الى جنـوب كفري وغربها ، الى الثوار ونظموا سلسلة من الهجمات على الامدادات الانكليزية التي كانت تنقل الى كنكربان بواسطة الخط الحديدي الذي خربوه في أماكن عدة (٥٩) ، فغدا طريق المواصـلات بـين كركوك وخانقين «غير مأمون» حسب وصف القائد العام للقوات البريطانيـة العاملة في العراق ا٠ هالدين (٦٠) ٠

---

(٥٧) راجع نص البلاغ في «العراق» ، ٣٠ اب ١٩٢٠ ٠

(٥٨) راجع :

((Iraq. Report on Iraq Administration April 1922 — March 1923)), London, 1924, P. 33; C. J. Edmonds, Op. Cit., P. 123.

(٥٩) للتفصيل راجع : مكرم الطالباني ، المصـدر السـابق ، ص ٧٣ ـ ٧٥ ٠

(٦٠) A. L. Haldane, Op. Cit., P. 244

أنزل الثوار العلم البريطاني وأعلنوا ، وسط ابتهاج النـــاس ، انتهاء حكم الاحتلال الذي أقاموا مكانه «حكومة مؤقتة» برئاسة ابراهيم خان وعضوية شقيقه أكبر خان وويس بك من الدهلو وحمـه جان من روغزايي والحاج محمد من ترخاني وحميد عبدالرحمن كهـريزي الذي استشهد في اول صدام مع الاعداء فيما بعد . واعيد تنظيم بعض الدوائر ، ومنع تداول الروبية الهندية واستؤنف العمل بالعملة العثمانية السابقة مؤقتا ، كما تم توزيع ماخزنه الانكليز في البلدة من مـــواد ضرورية كالحبوب والسكر والشاي ، على الناس (٦١) .

كانت أحداث كفري نذير شر للانكليز الذين اهتموا كثـيرا بالحفاظ على الهدوء في الرقعة الواسعة التي كان يشرف على شوؤونها العسكرية الجنرال فريزر ، وذلك لصعوبة ضبطها أولا ، ولعجز قوات فريزر من التوزع على جبهات متعددة ثانيا ، ولاستحالة امدادها بقوات جديدة أخيرا . لذا لم يكن بد من اتخاذ اجراءات عاجلة لقمع انتفاضة أهالي كفري قبل تفاقم خطرها بانتشار نيرانها الى المنـاطق المستـاءة الاخرى . فنشط الضابط السياسي في كركوك لونكريك لتحشيد رجال بعض رؤساء العشائر الكردية الموالية (طالباني وزنكنه (٦١)) ، ولتوجيه كل مايمكن الاستغناء عنه من قواته ، بما فيها رجال الشبانة ، للالتحاق

---

(٦١) لم تؤيد جميع فروع وقطاعات هذه العشائر الانكليز . فـان قسما من الزنكنة ظل ، باعتراف البلاغ الرسمي ، خارجا على سلطة الاحتلال حتى أواخر أيلول ١٩٢٠ (راجع البلاغ الرسمي الصادر يوم ٢٧ أيلول في جريدة «العراق» ، ٢٩ أيلول ١٩٢٠).

بالحامية الموجودة في كنكربان .

هاجم الاعداء على جبل باوەشاسوار من ثلاث جبهات : من كنكربان بقيادة لونكريك نفسه ، ومن سەرجەم وكاريز بقيادة مساعده الذي كان الناس يطلقون عليه اسم (أبو جوماغ) ، ومن دوازده امام حيث تركزت قوات الموالين للانكليز من الطالبانيين والزنكنة . وكان هؤلاء المرتزقة هم السباقين الى جبل باوەشاسوار حيث وقع أول صدام عنيف بين الطرفين كان النصر فيه حليف الثوار الذين استشهد قائدهم في هذه الجبهة حميد كهريزي ، مما كان له وقع كبير في نفوس الناس . فقام رشيد محمد أحد حراس سالمون في آوايي ابراهيم خان باغتياله يوم ٢٨ اب انتقاما لحميد كهريزي . وقد أصبح رشيد محمد هذا يعرف منذ ذلك اليوم باسم (رەشە حاكم كوژ) أي (رشيد ـ قاتل الحاكم) . وبالرغم مما تركه مقتل الكهريزي في نفس ابراهيم خان ، الا انه لم يكن راضيا ـ حسب رواية أهل كفري ـ من مقتل سالمون الذي ترك صدى كبيرا في نفوس المسؤولين الانكليز ، جاء التعبير عنه في احدى رسائل ملكة العراق غير المتوجة المس بيسل على النحو التالي :

« انها قصة مثيرة ، لكن المتوحشين حينما يذهبون الى الحرب يرتكبون أعمالا وحشية ... انا احبذ بالكلية اعدام المذنبين اعداما ينتشر ذكره بين الناس ، اذا كان من الممكن القبض عليهم ، ثم معاقبة الاخرين من الرعاع عقابا خفيفا ، وهذا رأي ولسن أيضا ، على

ما أظن » (٦٢) •

لم يستطع الثوار ، بالرغم من تحصنهم واستعداداتهم المستمرة، الاحتفاظ ببلدة كفري التي دخلها الانكليز من جديد في ٣٠ اب ، وقد فرضوا على سكانها غرامة مقدارها ١٠ آلاف روبية و ٥٠٠ بندقية• وبعد ذلك أعلنت القيادة العامة في بلاغها الرسمي الصادر يوم ١٨ أيلول أن « الاحوال عادت في منطقة كفري ، فاستقرت غاية الاستقرار » (٦٣) •

أما في الواقع فقد ظلت الاوضاع في المناطق المجاورة غير مستقرة تماما • فبعد أكثر من أسبوع وافتنا البلاغات الرسمية بانباء اخضاع عدد اخر من عشائر المنطقة (٦٤) • وقد أعلنت مجموعة من قرى ليلان القريبة من كركوك خروجها على الانكليز الذين أرسلوا اليها قوة عسكرية قامت ، حسب اعترافات المسؤولين انفسهم ، « بحرق

---

(٦٢) تحمل الرسالة تأريخ ٥ أيلول ١٩٢٠ ، أي ان المس بيل كتبتها بعد وصول أخبار كفري الى بغداد مباشرة (راجع : «العراق في رسائل المس بيل» ، ترجمه وعلق عليه جعفر الخياط ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص ١٧٦) •

(٦٣) راجع : «العراق» ، ٢٠ أيلول ١٩٢٠ •

(٦٤) راجع مثلا : «العراق» ، ٢٩ أيلول و ٢٢ تشرين الاول ١٩٢٠ • فقد جاء في البلاغ الصادر يوم ٢١ تشرين الاول ان «فخوذ البيات قبلت بدفع غرامة قدرها عشرة الاف روبية وتسليم ٢٠٠ بندقية وتأدية ما عليها من الاموال الاميرية خلال شهر واحد فقط ، فاوقفت على هذا الاساس العمليات العسكرية ضدها » •

وابادة ثلاث قرى نهائيا » (٦٥) . كما توترت الاوضاع بين أكراد زنكنة وداوده ، وقد وقعت في ٢٨ اب معركة في طاوق بين أتباع رفعت اسماعيل بك داوده والقوات الانكليزية استمرت لمدة ساعة واحدة ، تبعتها أعمال حرق وتدمير ومطاردة لافراد عشيرة داوده امتدت آثارها الى طوزخورماتو(٦٦). ومن الجدير بالذكر ان رفعت بك كان يتمتع بشعبية واسعة في منطقته مما نجم عن مواقف أسرته الوطنية. فان ابن عمه نامق علي آغا كان أحد شهداء الكرد في سوح الشعيبة عام ١٩١٥ ، كما أن أفراد أسرته وقفوا بحماس الى جانب الشيخ محمود قبيل « ثورة العشرين » .

والى جانب كل ذلك دب الرعب في كل مكان ، خاصة لماكان يزاوله المرتزقة من أتباع الرؤساء الموالين للانكليز من أعمال النهب والسلب والثأر بفظاظة بالغة . أما قائد الانتفاضة ابراهيم خان فقد اضطر ، بعد أن عجز عن اعادة الكرة ثانية ، الى الاختفاء (٦٧) بين أبناء عشيرتي العزة العربية (٦٨) والبيات الذين أيدوا الثورة بكل جوارحهم، فأولوه جل احترامهم الى أن فارق الحياة بسبب مرض

(٦٥) راجع : «بيشكەوتن» ، ٢٦ اب و٢ أيلول ١٩٢٠ .

(٦٦) راجع : « بيشكەوتن » ، ٢ أيلول ١٩٢٠ .

(٦٧) ساعده على الاختفاء والانتقال الى مناطق البيات والعزة ابناء عشيرة داودة من أتباع رفعت بك المعروف بمعاداته للانكليز .

(٦٨) كانت سلطات الاحتلال على علم بلجوء ابراهيم خان الى العزة ، فقد أشارت جريدة « بيشكەوتن » الى ذلك في عددها الصادر يوم ٣٠ أيلول ١٩٢٠ .

شديد ألم به ، وقد دفن فوق احدى قمم جبل حمرين حسب وصيته (٦٩) ٠

كان لوفاة ابراهيم خان بهذا الشكل وقع اليم في نفوس الناس ، فغدا رمزا للنضال ضد المستعمرين واحتلالهم ٠ وقد ظل أبناؤه على اتصال مباشر بالشيخ محمود منذ عودته من منفاه في أيلول ١٩٢٢ ، حيث وقف في طريقه الى السليمانية خصيصا في كفري التي استقبلته بحفاوة بالغة لم يرتح منها المسؤولون الانكليز(٧٠) ٠ ومن الجدير بالذكر أن الشيخ محمود بعد أن استغل فرصة أحداث ايار ١٩٤١ فهرب من منفاه الثاني ، وصل منطقته بمساعدة أبناء ابراهيم خان ٠

لم تكن الاوضاع في أربيل ، ولاسيما في المناطق التابعة لها ، بأحسن مما كان عليه الامر في كل من خانقين وكفري ، خاصة وأن محاولات السلطات البريطانية لعزلها عن أحداث الثورة في الوسط والجنوب لم تؤد الى النتائج المطلوبة (٧١) ٠ فقبل أن تتخذ الثورة طابعها المسلح عقد أهالي المدينة أكثر من اجتماع عبروا فيه عن

---

(٦٩) مكرم الطالباني ، المصدر السابق ، ص ٩٩ ـ ١٠٣ ٠

(٧٠) يذكر شهود عيان ان الشيخ محمود عندما علم بوفاة ابراهيم خان لم يتمالك نفسه ، فبكاه بحرارة أمام جمع كبير من الناس ٠

(٧١) أشار حاكم اربيل ايام الثورة الكابتن هيي في كتابه « سنتان في كردستان » اكثر من مرة الى تأثير الاخبار التي كانت تصل من وسط البلاد وجنوبها على سكان اربيل وما والاها من مناطق ٠

تأييدهم المطلق لمطاليب قادتها في بغداد • وقد نظم الموظفون السابقون المستاؤون من وضعهم (٧٢) حملة دعاية واسعة ضد الوجود البريطاني ، وقد كانوا يبشرون في كل مكان بقرب عودة الاتراك وطرد الانكليز من المنطقة نهائيا • كما وزع منشور في المدينة يدعو المواطنين الى « حمل السلاح ضد الكفار » •

لم يقتصر الامر في أربيل وضواحيها على هذا الاسلوب السلبي من النضال ، فمع توارد أخبار نجاحات الثوار في الفرات الاوسط وانضمام المناطق المجاورة الى الثورة توترت الاوضاع في أربيل بسرعة واتخذ طابع العمل العلني ضد الوجود البريطاني • ففي بداية اب جرت محاولة لاغتيال حاكم المدينة السياسي الكابتن هيي ، ووقعت محاولة اخرى لحرق داره التي اضطر فيما بعد لتركها والعيش في الثكنة العسكرية استعدادا للهرب في أي لحظة ، ولاسيما وان وكيل الحاكم العام ولسن أخبره برقيا بعجز سلطات الاحتلال عن امداده باي شكل من أشكال المساعدة العسكرية • وفي ١٢ اب دبرت مجموعة من سكان المنطقة هجوما خاطفا في مضيق رواندوز على هيي الذي نجا ، هو وزوجته ، من الموت باعجوبة (٧٣) • كما جرت محاولات عديدة لاغتيال مساعده • وبامكان مايرويه الكابتن هيي في

(٧٢) فقد معظم موظفي العهد العثماني وظائفهم بعد الاحتلال ، فكانوا يشكلون فئة مستاءة من وضعها ، مؤثرة بحكم ثقافتها على الرأي العام في معظم المدن العراقية •

(٧٣) A. L. Haldane, Op. Cit., P. 246; « العالم العربي » ، ١ كانون الثاني ١٩٣٢ •

مذكراته عن تلك الأيام اعطاء فكرة واضحة عن الوضع في منطقة أربيل • يقول هيي مانصه :

« ••• لقد غدت سلطاتي كضابط سياسي معدومة عمليا ، ومن جراء الخدمات الطبية التي قدمها كل من خورشيد آغا وأحمد أفندي تمكنت من ممارسة بعض النفوذ » • كما يذكر ايضا ان الناس بدأوا يتوقعون هروبه في كل لحظة ، خاصة بعد ان اضطر البريطانيون لنقل موجودات الخزينة من أربيل الى كركوك (٧٤) ، وتم فعلا اجلاء العديد من الموظفين الانكليز من المدينة • وبسبب الظروف المتوترة هذه اضطر الحاكم البريطاني العام ارنولد ولسن للسفر الى اربيل بطائرة خاصة في ٨ أيلول (٧٥) حيث اجتمع بالمسؤولين وبعدد كبير من سكان المدينة الذين القى فيهم خطابا مطولا تحدث فيه عن الانتصارات الكبرى في مناطق الفرات الاوسط وأشار بشكل خاص الى « هدوء الوضع في السليمانية » (٧٦) • ولم ينس أن يقدم الشكر

---

(٧٤) راجع : W. R. Hay, Op. Cit., PP. 325—326

انجز الحاكم السياسي لكركوك لونكريك بنفسه مهمة نقل موجودات الخزينة من أربيل الى كركوك ، وقد استخدم للامر رتلا كاملا من السيارات وعددا كبيرا من الحراس •

(٧٥) من المفيد ان نشير هنا الى ان ولسن كان قد أخبر هيي بنبأ قدومه برقيا ، وقد رد الاخير عليه ببرقية مفادها انه قد يضطر الى ترك المدينة قبل وصوله بسبب تأزم الموقف ، فاذا لم يجد من طائرته العلم البريطاني مرفوعا فوق بناية مقره عليه الا يهبط ويرجع الى حيث أتى •

(٧٦) راجع :

A. T. Wilson, Mesopotamia 1917—1920, P. 288

خصيصا الى رؤساء العشائر والمتنفذين الذين وقفوا الى جانبهم •

ولكن بالرغم من ذلك لم تمر سوى أيام معدودات على عـودة الحاكم العام الى بغداد حتى تم الكشف عن خطة لطرد الانكليز واقامة حكم محلي ، مما أجبر المسؤولين لارسال قوتين من كركوك والموصل تمكنتا ، بمساعدة بعض العشائر الموالية في منطقة دزه‌يي ، من اعادة السيطرة البريطانية على المدينة (٧٧) التي ظل هدوءها مشوبا بالحذر ومليئا باحتمالات الانفجار من جديد ، بحيث ان البلاغات الرسميـة الثلاثة التي أصدرتها القيادة العامة في النصف الاول من شهر ايلول لم تعلن بصدد هذه المنطقة اكثر من « ان الموقف قد تحسن قليـلا في اربيل » (٧٨) • فقد ظل الناس ينظرون بازدراء الى الانكليز ، وبصورة خاصة الى الذين كانوا يتعـاونون معهـم مـن السـكان الاصليين(٧٩) • وليس ادل على ذلك مما أبداه حاكم المدينة مـن قلق على مصير ولسن أثناء زيارته لاربيل ، مع أن ثلاث طائرات حربية رافقته الى هناك ، كما اتخذت اجراءات واسعة لضمان سلامته(٨٠) •

---

(٧٧) راجع :
A. L. Haldane, Op. Cit., PP. 246—247; W. R. Hay, Op. Cit., PP. 333, 345.

(٧٨) راجع نصوص البلاغات في جريدة «العراق» ، ٦ و ١٤ و ١٦ أيلول ١٩٢٠ •

(٧٩) راجع : W. R. Hay, Op. Cit., P. 239

(٨٠) Ibid, PP. 333, 335—337 من الطريف ان نذكر بهذا الصدد ان القلق قد استبد بالمسؤولين الانكليز اثناء زيارة ولسن لاربيل الى درجة انهم بدأوا يخشون قطيع غنم استعدوا لمقاومته باعتباره هجوما عشيريا ! •

وفي الواقع لم تستتب الامور داخل مدينة أربيل نفسها الا بعد وصول القوتين العسكريتين المذكورتين اللتين وصلتا تباعا من الموصل في ١١ ايلول ومن كركوك في ١٤ منه •

ومع ان الانكليز تمكنوا في نهاية الامر من احكام سيطرتهم على مدينة أربيل ، الا ان الاوضاع ظلت متوترة لفترة اخرى في المناطق التابعة لها اداريا ، ولتي اضطر جميع الانكليز العاملين فيها على الانسحاب منها الى المدينة نفسها • فقد ذكر البلاغ الرسمي الصادر يوم ١٥ أيلول ان « السكون قد عم أربيل منذ وصول جنودنا هناك ، أما القبائل التي في الجبال فانها مازالت غير مستقرة » (٨١) • ففي كويسنجق توترت الاوضاع بشكل أكدت عليه القيادة العامة في بلاغاتها أكثر من مرة (٨٢) • وقد اضطر معاون الحاكم السياسي البريطاني كيرك (F. C. Kirk) الى ترك المدينة في ٨ أيلول ، عاهدا ادارتها الى أحد رؤساء العشائر الموالية للانكليز (٨٣) • وكان الثوار قد قطعوا قبل ذلك خطوط التلغراف بين أربيل وكويسنجق التي لم يستطع الانكليز اعادة ادارتهم اليها لغاية أوائل تشرين الاول ١٩٢٠ • وظلت الاوضاع متوترة في منطقة خوشناو طيلة شهر اب وأوائل أيلول ، مما كلف الانكليز العديد من رجالهم ، كان معظمهم من المجندين

---

(٨١) « العراق » ، ١٧ أيلول ١٩٢٠ •
(٨٢) راجع : « العراق » ، ١٦ أيلول ١٩٢٠ •
(٨٣) « العالم العربي » ، ٦كانون الثاني ١٩٣٢ ؛
A. L. Haldane, Op. Cit., P. 246

المحليين ؛ وعجزت جميع محاولات معاون الحاكم السياسي وجهود الموالين من رؤساء بعض العشائر عن اعادة الامور الى نصابها في هذه المنطقة لفترة غير قصيرة من الزمن •

انفجرت الاوضاع بشكل خطير في باتاس و رواندوز بسبب قيام عشيرة سورجي المعروفة التي تمكن رجالها من تحرير باتاس في الاول من أيلول ومن هناك توجهوا صوب رواندوز حيث حاصروا القوة المعسكرة بداخلها والتي تمكنت من الانسحاب الى أربيل بصعوبة وذلك بعد معركة فقدت فيها ١٨ من أفرادها (٨٤) • وقد وقعت معركة كبيرة اخرى بين ٦٠٠ من رجال السورجي وقوة أخرى بالقرب من الزاب الكبير في ١٥ أيلول أسفرت عن الحاق خسائر جسيمة بالاكراد تختلف المصادر في تقديرها • فقد جاء في بلاغ القيادة الانكليزية العامة ليوم ٢٢ أيلول ١٩٢٠ بشأنها :

« هجم في ١٥ أيلول أكراد سورجي على (قوة موالية ـ ك•م•)، فاعاد أفرادها الكرة عليهم ودحروهم الى ماوراء الزاب • ويدعي هؤلاء أنهم قتلوا ١٤٠ منهم وأغرقوا ٦٠ ولم يمنوا الا بخسائر قليلة » (٨٥)• أما وكيل الحاكم العام آرنولد ولسن فيذكر بتشف واضح بأن الموالين ذبحوا ٦٠ من الثوار الكرد « وأجبروا الاخرين على عبور الزاب حيث لقي ١٤٠ آخرون منهم حتفهم كما يقال » • وهو يقدر خسارة

---

(٨٤) A. L. Haldane, Op. Cit., P. 27

(٨٥) راجع نص البلاغ في : « العراق » ، ٢٣ أيلول ١٩٢٠ •

الجانب الاخر بأربعة قتلى و٨ جرحى فقط (٨٦) • ويروي قائـــد القوات البريطانية العاملة في العراق ا• هالدين في كتابه نفس المعلومات تقريبا عن الحادث (٨٧) • بينما تشير بعض الوثائق البريطانية الى أن الجنود « قضوا ، بقيادة الضباط البريطانيين ، على ٦٠٠ من الاكراد » الذين هاجموا المعسكر (٨٨) • ومهما يكن من أمـر فـان الجنرال هالدين قد اعترف ، حسبما ورد في الوثائق نفسها ، بأنه « لولا هذا العمل فان الفوضى كانت تغلب على قسم كبير من القوات العسكريـة المتمركزة في الموصل » (٨٩) •

ومن الجدير بالذكر ان هذه الواقعة وجدت لها صدى أكبـر من أحداث كردستان الاخرى أيام ثورة العشرين • والمهم بهـــذا الصدد أن جريدة «الاستقلال» النجفية نشرت بدورها نبأ تكبـــد « السورجية في هجومها ٦٠ قتيلا » (٩٠) •

تشعبت نشاطات السورجي لتشمل منطقة واسعة ، مما استدعى قلقا كبيرا لدى المسؤولين الانكليز (٩١) ، ولاسيما انهم غدوا في احدى

---

(٨٦) A. T. Wilson, Mesopotamia 1917—1920, P. 291

(٨٧) A. L. Haldane, Op Cit., P. 246

(٨٨) F. O. 371/16849

(٨٩) Ibid

(٩٠) « الاستقلال » ، العدد الاول ، تشرين الاول ١٩٢٠ • لم تعلق الجريدة على هذا الحدث بالرغم من أهميته •

(٩١) ان من يتصفح كتاب الكابتن هيي « سنتان في كردستان » يفهم جيدا ما أثاره السورجيون من مصاعب ومخاوف للانكليز طيلة أيام « ثورة العشرين » •

المرات على بعد ١٢ ميلا فقط من مدينة أربيل نفسها • بل أنهم ، مع رجال الخوشناو ، فرضوا خلال أيلول نوعا من الحصار على المدينة ، مما جعل الانكليز الموجودين بداخلها في وضع لايحسدون عليه(٩٢)•

توترت الاوضاع أيام الثورة في بعض مناطق بادينان كذلك • فقد أشار البلاغ الرسمي الصادر يوم ١٨ أيلول ١٩٢٠ الى أن « الاحوال غير مستقرة في عقرة » (٩٣) • ومن الجدير بالذكر أن مقتل الكولونيل ليجمن على أيدي ثوار الزوبع قد وجد له صداه بين سكان هذه المنطقة الذين عانوا في حينه الكثير منه، ومن حملاته الانتقامية (٩٤) وخططه العنصرية التي استهدفت تجريدهم من أرض الاجداد ، حتى انه نقل من الموصل الى الدليم على أساس انه كان يجيد التعامل مع العرب أكثر من الاكراد الذين دشن وجوده بينهم

---

(٩٢) انهم كانوا دوما على اهبة الاستعداد للهرب من المدينة ، بل بادروا اكثر من مرة الى ذلك ، الا ان موقف بعض الموالين لهم قد شد من أزرهم وحال دون تركهم لمدينة أربيل ، مما اعترف به الكابتن هيي في كتابه مرارا •

(٩٣) راجع : « العراق » ، ٢٠ أيلول ١٩٢٠ •

(٩٤) قاد الكولونيل ليجمن بنفسه العديد من الحملات العسكرية التي استهدفت ثوار المنطقة الكردية قبل « ثورة العشرين »• وقد تصدى هؤلاء له ، وحاولوا قتله في صيف العام ١٩١٩ ، الا انه تخلص من الموت باعجوبة • وقد انتشر الخبر بين الناس بسرعة ، حتى ان « جمعية العهد ــ فرع الموصل » زودت المركز بتفاصيل الحادث ضمن تقرير رفعته اليه في ٧ أب ١٩١٩ (راجع : « صدى الاحرار » ، ٣٠ كانون الثاني ١٩٥٣) •

منذ الأيام الاولى التي أتبعت انتهاء الحرب ، بفظاظة تشمئز منهـا النفس (٩٥) .

لم تكن الاوضاع متوترة في السليمانية وما والاها بالقياس الى معظم المناطق الاخرى ، ذلك لانه لم تكن قد انقضت بعد سوى أشهر قلائل على الضربة القوية التي وجهتها القوات الانكليزية الى حركة الشيخ محمود في هذه الاصقاع ، كما تمكن حاكم المدينة الميجر سون من التأثير على أوساط متنفذة فيها ، ولاسيما كبار التجار ممن عرفوا بموالاتهم للانكليز (٩٦) الذين كان وجودهم يعني تطوير مصـالح هؤلاء بشكل عام ، وتوثيق صلاتهم التجارية مع بغداد بشكل خاص. وليس عبثا أن يؤكد سـون في تقرير خاص رفعه الى الحاكم العـام في بغداد على «الاخلاص المطلق» لهؤلاء التجار الذين ، قال عنهـم ، انهم « ليسوا موالين لبريطانيا فقط ، بل يشكلون نواة تلك الطبقـة

---

(٩٥) راجع مايرويه عنه عبدالعزيز القصاب الذي كان قائمقامـا عثمانيا في زيبار التي دخلها ليجمن بعد الحرب مباشرة (عبد العزيز القصاب ، من ذكرياتي ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص ١٨٧ — ١٨٩) .

(٩٦) بعـد مجـيء الانكليز تطـورت مصـالح هؤلاء التجار بشكل ملموس ، وازداد ارتباطهم باسواق بغداد اكثر فاكثر ، حتى ان بعضنا منهم انتقلوا اليها . وقد تجلى موقف هؤلاء بشكل واضح ايام انتفاضة الشيخ محمود في العام ١٩١٩ . فعندما منح الانكليز الشيخ منصب الحكمدارية بعد الحرب مباشرة، وقف كبار تجار المدينة الى جانبه بحماس ، وعندما غير هؤلاء موقفهم منه انقلب عدد من ابرز تجار السليمانية الى شهـود اثبات ضد الشيخ محمود اثناء محاكمته في بغداد ! .

التي أخبرتني مرة عن ضرورة تحويلها الى سند نشيط للحكومة » (٩٧) • وقد تمكن سون أيضا من كسب قطاع مؤثر من مثقفي السليمانية ، بما فيهم معظم الضباط السابقين في الجيش العثماني ، عن طريق تعيينهم في بعض المراكز الحكومية الحساسة(٩٨) وبخلق جو ثقافي لم تعهده المدينة من قبل (٩٩) • والى جانب ذلك ضمن الميجر سون ولاء العديد من رؤساء العشائر للسلطة ، بحيث قام بابكر اغا البشدري بارسال عدد من رجاله المسلحين الى المدينة تحسبا للطواريء (١٠٠) •

اتخذ سون اجراءات اخرى تدل بوضوح على انه كان يحاول سبق الاحداث • ففي عز أيام الثورة والتوتر في السليمانية رفع رواتب رجال الشرطة من السكان المحليين بمقدار ١٢ ــ ٢٠ ٪ ، كما منحهم

---

(٩٧) F. O. 371/4342

(٩٨) تم تعيين جمال بك في مركة وعوني افندي في تانجرو ورضا بك في شاربازير وقرب سون أمير اللواء السابق مصطفى باشا يامولكي وهكذا •

(٩٩) خلق الميجر سون جوا ثقافيا نشيطا في السليمانية ايام ولايته عليها ، ولاسيما من خلال جريدة « بيشكهوتن » التي أصدرها باللغة الكردية وجمع حولها عددا من ابرز الشعراء والكتاب ، منهم الشيخ نوري الشيخ صالح وجمال عرفان وعلي كمال بابير وغيرهم •

(١٠٠) أشارت الى ذلك :

((Journal of the Central Asian Society)), London, Vol. IV, Pt. III, 1928, PP. 266—268.

(راجع كذلك : ل• ن• كاتلوف ، انتفاضة ١٩٢٠ الوطنية ــ التحررية في العراق ، ص ١٣٩) •

امتيازات أخرى كثيرة(١٠١) . ولاشك في أن كل ذلك يدل على أن الوضع في السليمانية لم يكن هادئا بالشكل الذي صوره ولسن لسكان أربيل. فبالرغم من حالة الجزر التي أصابت الحركة الوطنية في المنطقة ، الا ان الرأي العام فيها قد استقبل انباء الثورة بارتياح كبير. ويأتي أنصار الشيخ محمود ومؤيدو الحركة الكمالية في تركيا في مقدمة الناس الذين رحبوا بما كان يجري على الساحة السياسية في الوسط والجنوب ، وفي بعض مناطق كردستان . وبرز في تلك الايام بعض الشخصيات المعروفة في المدينة ، منهم الحاج ملا سعيد وشقيقه اللذين تصفهما التقارير الانكليزية السرية بـ « أعداء الداء لبريطانيا » (١٠٢) . وقد أثر الاول منهما على حمدي بك بابان مما انعكس واضحا ـ باعتراف الوثائق البريطانية ـ في مضمون ولهجة الرسائل التي بعثها الاخير أيام الثورة الى الحاكم العام البريطاني ، منها رسالته المفصلة التي تحمل تأريخ ٦ اب ١٩٢٠ ، والتي يبدو مما ورد فيها انه كان يطمح في أن يجعله الانكليز «حاكم كردستان الجنوبية » (١٠٣) .

ولكن حتى في السليمانية لم يقتصر النضال أيام « ثورة العشرين » على هذا الاسلوب السلبي . فقد شهدت بعض نواحيها

---

(١٠١) راجع : « بيشكه‌وتن » ، ٣٠ أيلول ١٩٢٠ .

(١٠٢) F. O. 371/4342 تشير هذه الوثيقة الى ان مصالح الحاج ملاسعيد قد تأثرت بشكل ملموس مع مجيء الانكليز الى السليمانية .

(١٠٣) F. O. 371/4601

حركات عفوية معادية للانكليز في تلك الايام ، كما حدث في سنكاو مثلا ، حيث اضطر الكابتن ليز (G. M. Lees) للذهاب من السليمانية الى هناك وتمكن من ارجاع الامور الى وضعها السابق بعد أن اجتمع بالشيخ عبدالقادر شخصيا (١٠٤) . ولم تمض سوى فترة وجيزة حتى قامت مجموعة من أفراد عشيرة دزلي المعروفة بموالاتها للشيخ محمود (١٠٥) بالهجوم على دار السيدة المتنفذة المؤيدة للانكليز خان بهادر عادلة الجاف في حلبجة والتي كانت على أوثق علاقة بالميجر سون (١٠٦) ، فقامت طائرتان حربيتان بتدمير قريتي بارام آوا وبلخه وقرى أخرى في منطقة هەوراما‌ن(١٠٧) . وقد أشار الى الحدث الاخير البلاغ الرسمي الصادر يوم ١٥ أيلول(١٠٨) . أما جريدة «بيشكەوتن» الكردية فقد تهجمت على ثوار هەورامان بعنف ونعتتهم بأوصاف غير لائقة (١٠٩) .

---

(١٠٤) راجع : « بيشكەوتن » ، ٢٦ اب ١٩٢٠ .

(١٠٥) شكل أبناء هذه العشيرة جانبا كبيرا من قوات الشيخ محمود اثناء انتفاضة العام ١٩١٩ ، وقد ظلوا يعادون الانكليز على مدى سنين طوال فيما بعد .

(١٠٦) تعود بدايات تلك العلاقات الى الفترة التي زار فيها سون كردستان متنكرا . وقد ظلت هي ، وابناؤها على علاقات طيبة مع الانكليز . كما انها لعبت دورا ملموسا في حصر نفوذ الشيخ محمود أيام انتفاضته ، وفي مساعدة المحتلين لاعادة سيطرتهم الى منطقة حلبجة .

(١٠٧) « بيشكەوتن » ، ٢٣ أيلول ١٩٢٠ .

(١٠٨) راجع : « العراق » ، ١٧ أيلول ١٩٢٠ .

(١٠٩) « بيشكەوتن » ، ٢٣ أيلول ١٩٢٠ .

وهكذا نجد صورة مصغرة لاحداث «ثورة العشرين» في المناطق الكردية التي لم تبق ، وماكان بالامكان ان تبقى بعيدة عن آثار الاحداث الكبيرة التي هزت المناطق الاخرى من البلاد • والواقع أنه لولا الظروف الخاصة الناجمة عن مجموعة عوامل محددة لكان في الامكان تطوير الاحداث في كردستان أيام الثورة بشكل أكثر فاعلية ، وهو أمر كان يخشاه المحتلون كثيرا لما كان ينطوي عليه من مضاعفات متوقعة ، فبذلوا ـ كما سنرى ـ جهودا كبيرة ، ولجأوا الى أساليب ملتوية للحيلولة دون حدوثه ، ولاسيما لان مشاكلهم في المناطق الاخرى كانت تجعلهم عاجزين عن توجيه القوات الكافية لقمع أي حركة واسعة تنفجر بين الاكراد (١١٠) •

تأتي على رأس قائمة العوامل التي حددت من اشتراك المناطق الكردية في «ثورة العشرين» الضربة القوية التي وجهتها قوات الاحتلال لجماهيرها خلال العام ونصف العام الذي سبق انفجار الموقف في الوسط والجنوب • فالقتل والغرامة والسجن والنفي والتشريد بالجملة كان من نصيب الوطنيين حيثما قاموا بوجه المحتلين• فمثلا بعد أن اعادت القوات الانكليزية احتلال العمادية في ٦ اب ١٩١٩ فرضت على أهلها غرامة مقدارها ١١٢ بندقية و ٩ صناديق

(١١٠) حول هذا الموضوع راجع :
W. Ormsby, The organization of British responsibilites in the Middle East,— ((Journal of the Royal Central Asian Society)), Vol. VII, 1920, PP. 86—87.

من الذخيرة وغيرها ، كما ألقت القبض على عدد كبير مـن النـاس المشتركين ، وغير المشتركين ، في الانتفاضة ونفذت حكم الموت بحق ٥ منهم علنا ونشرت بلاغا رسميا بصدد ذلك (١١١) ٠

لم تلعب الرجعية الكردية الدور الاخير في تحجيم آثار الثورة٠ ففي كردستان كذلك وقف العديد من رؤساء العشائر ومتنفذي المدن الى جانب الانكليز ولعبوا دورا كبيرا للحيلولة دون انتشار نـيران الثورة الى مناطق كثيرة ٠ كما انهم اسهموا فعلا في قمع بؤر الثورة وبوادرها هنا وهناك ، مثلما سبقت الاشارة الى بعـض شـواهده ٠ ولابأس في ان نورد هنا بعض الامثلة الحية الاخرى بهذا الصدد ٠ فعندما توترت الاوضاع في منطقة خانقين قام القنصل البريطـاني في كرمانشاه بتحشيد ٢٥٠ فارسا من عشيرة سنجاوي و ٢٠٠ اخريـن من كلهور وكوران الذين استخدم قسم منهم في العمليات العسكرية بقيادة الكابتن مور ضد الثوار ، كما عهد الى قسم اخر منهم بمهمـة حراسة منشآت النفط في منطقة نفطخانة القريبة من الحدود (١١٢)٠ وفي منطقة كفري أجرى المسؤولون الانكليز اتصالات واسعة مـع عدد من رؤساء العشائر بقصد استخدام رجالهم ضد الثوار ، أو على الاقل للحيلولة دون اشتراكهم في الثورة ٠ ومع ان النجاح لم يحالف

---

(١١١) راجع : «العرب» ، ١٥ اب ١٩١٩ ٠

(١١٢)

A. L. Haldane, Op. Cit., PP. 158—160; P. W. Ireland, Iraq. A study in Political development, London, 1937. P. 270.

الانكليز في محاولاتهم دائما (١١٣) ، الا أنهم لم يحققوا كذلك مكاسب قليلة في هذا الميدان • فقد لعب عدد من الشيوخ الطالبانيين دورا ملموسا في عرقلة تطور التحرك الكردي المعادي للانكليز أيام الثورة • فمثلا انضم الشيخ حميد الطالباني مع أتباعه الى لونكريك الحاكم السياسي في كركوك ، وبعث عددا من فرسانه المسلحين الى مناطق داوده وزنكنه (١١٤) • وقام أخرون من الرؤساء والمتنفذين الكرد بجولات في المناطق الكردية زاروا خلالها الضباط السياسيين الانكليز بشكل خاص ، كما فعل ذلك الشخصية المعروفة السيد طه الشمزيناني وبابكر اغا البشدري (١١٥) •وكما يروي هيي فان أحد رؤساء العشائر الموالين للانكليز قد حشد حوالي ٣ الاف مسلح لاستخدامهم عند الحاجة• والواقع انه لولا الخدمات الكبيرة التي قدمها خورشيد اغا من رؤساء دزهيي للانكليز بكل اخلاص لما استطاعوا الاحتفاظ بمدينة أربيل في عز أيام الثورة وقد استحق هذا الرجل،دون الاخرين ، سيارة فورد قدمها له الحاكم البريطاني العام خصيصا اعترافا منه بما اسداه لهم من خدمات في أحرج أيام حكمهم لاربيل وضواحيها •

---

(١١٣) راجع مثلا : A. L. Haldane, Op. Cit., P. 246

(١١٤) « بيشكهوتن » ، ٢ و ٩ أيلول ١٩٢٠ • عن الدور المعادي للشيوخ الطالبانيين راجع كذلك : مكرم الطالباني ، المصدر السابق ، ص ٨٠ ، ٨٦ ـ ٨٧ •

(١١٥) راجع : « بيشكهوتن »، ١٦ أيلول ١٩٢٠ •

ولم يصمد العديد من الرؤساء الذين اشتركوا في الثورة حتى النهاية • فانهم غالبا ما كانوا يتراجعون ويتركون سوح النضال عند أول ضربة يتلقونها • ودخل الكثير منهم في مساومات مباشرة مع المسؤولين الانكليز ، كما حدث بالنسبة لزعماء خوشناو وكردي وحتى سورجي(١١٦) • وانتظر الكثيرون فوق التل ليختاروا في اللحظة المناسبة الطرف الذي ينضمون اليه ! ، حتى ان البعض تحفز في البداية للاشتراك الى جانب الثوار ، الا ان أول اندحار أصاب هؤلاء جعلهم يرفضون مجرد التعاون معهم ، بل كان بينهم من لم يتردد في التعاون مع الانكليز • وكل ذلك يعكس ، في الواقع ، طبيعة القيادة التي كان زمام التحرك السياسي يومذاك في يدها •

بذل الانكليز جهودا كبيرة لابقاء المنطقة الكردية بعيدة عن أحداث الثورة • فانهم غالبا ما كانوا يؤكدون في بلاغاتهم الرسمية الاولى « السكون السائد في كردستان » (١١٧) • كما انهم في لقاءاتهم الخاصة بالاكراد كانوا يحاولون تصوير الامر في الوسط والجنوب وكأنه تمرد عربي متخلف محدود يقتصر على رقعة ضيقة من الفرات الاوسط • وكانوا يؤكدون من قصد على ان الشيعة هم الذين يقفون على رأس الثورة هناك ، كما فعل ولسن أثناء زيارته الخاصة

---

(١١٦) راجع : ل• ن• كاتلوف ، انتفاضة ١٩٢٠ الوطنية ـ التحررية في العراق ، ص ١٦٧ •

(١١٧) راجع مثلا البلاغ المنشور في جريدة « العراق » ، ٢١ اب ١٩٢٠ •

لأربيل (١١٨) . وقد لاحظنا كيف انه حاول الايحاء لسكان المدينة بان الوضع في السليمانية هادىء . وكان الانكليز يبالغون في عرضهم لعمليات قواتهم في الوسط والجنوب بهدف القاء الرعب في نفوس الناس . والى جانب الضباط والمسؤولين الانكليز وعملائهم لعبت جريدة «بيشكه‌وتن» الكردية دورا ملموسا في هذا المجال . فانها كانت تحاول دائما تصوير الثورة في المناطق الاخرى كحركة عربية صرفة لاتهم الكرد في شيء ، كما كانت تنشر أبناء «الاندحارات المستمرة» للعشائر العربية وخسائرها الجسمية في الارواح (١١٩) ، وتشير الى القوات الكبيرة والاسلحة الحديثة التي تصل البصرة وبغداد تباعا (١٢٠) ، وتبرز أوامر السلطة الصارمة وأخبار تنفيذ احكام الموت الصادرة بحق الثوار (١٢١) ، وتؤكد على قطع المياه من العشائر « الخارجة على القانون »(١٢٢) وعلى ما يفرض عليها من غرامات كبيرة (١٢٣) ، وتبين تراجع الكثيرين عن « خطاياهم » ورفع دخالتهم الى السلطة

---

(١١٨) A. T. Wilson, Mesopotamia 1917—1920, P. 288

(١١٩) راجع : « بيشكه‌وتن » ، ٥ و ١٢ و ١٩ اب و ٢ أيلول ١٩٢٠ .

(١٢٠) راجع مثلا : « بيشكه‌وتن » ، ١٢ و ١٩ اب و ٢ أيلول ١٩٢٠ .

(١٢١) راجع مثلا : « بيشكه‌وتن » ، ١٩ اب و ١٦ أيلول ١٩٢٠ .

(١٢٢) راجع نفس الاعداد .

(١٢٣) راجع مثلا : « بيشكه‌وتن » ، ٢٦ اب و ٣٠ أيلول و ٤ تشرين الثاني ١٩٢٠ .

المحتلة وقبولهم لجميع شروطها (١٢٤) •

وقد أكدت « بيشكه‌وتن » بشكل خاص على ابراز مواقف الاكراد الموالين للانكليز في المناطق الاخرى • فان « شيوخ الطالباني عقدوا مجلسا وقدموا تقريرا الى الحاكم السياسي في كركوك يظهرون فيه اخلاصهم وتأييدهم ، ويعربون عن رغبتهم في معاقبة القرى الخمس القريبة من ليلان لانها (بخروجها على الانكليز – ك•م•) أرادت الاساءة الى سمعة الطالبانيين »(١٢٥) • أما الاكراد الذين «ضللتهم دعايات العرب » فقد تم دحرهم بسهولة في كل مكان ، فهرب ابراهيم خان ، وتشرد جميع رجاله ، والتجأ رفعت بك داوده الى ايران (١٢٦) • كما كانت الجريدة تشر بكل صراحة وعن قصد واضح أخبار القسوة المتبعة مع الثوار الاكراد ، وتؤكد على حرق قراهم وبيادرهم دون رحمة ، وفرض غرامات كبيرة عليهم تبلغ في بعض الحالات عشرات الالوف من الروبيات مع اكثر من ١٠٠ بندقية (١٢٧) • وكان القصد من كل هذه الحملة ابعاد شبح الثورة عن هذه المنطقة •

وهناك عامل مهم أخر لعب دوره في عدم انتقال التحرك

(١٢٤) راجع مثلا : « بيشكه‌وتن » ، ٢٦ اب و ٩ و ٣٠ أيلول و ٤ تشرين الثاني ١٩٢٠ •

(١٢٥) «بيشكه‌وتن» ، ٢٦ اب ١٩٢٠ •

(١٢٦) راجع مثلا : «بيشكه‌وتن» ، ٢و ٣٠ ايلول و ٧ تشرين الاول ١٩٢٠ •

(١٢٧) راجع مثلا : « بيشكه‌وتن » ، ٢ و ١٦ و ٣٠ أيلول ١٩٢٠ •

الجماهيري الكردي أيام الثورة الى مستوى الاحداث ، يرتبط مباشرة بضيق افق تفكير القيادتين العربية والكردية يومذاك • فقد وقع العديد من الوطنيين الاكراد فعلا تحت تأثير الدعاية الانكليزية فيما يخص الطابع القومي والديني للثورة ، بحيث ان تلك الاوساط لم تحاول استغلال ظروف الثورة وتردي وضع المحتلين لتنظيم هبة جديدة تستهدف فرض ارادتها على المستعمر ، أو على الاقل اجباره على بعض التراجع • ولهذا السبب ظلت فورة المناطق الكردية عفوية في الاغلب ، غير منظمة ومتباعدة الحلقات •

ومن جانب اخر لم تتخذ قيادة الثورة من الاجراءات ما بامكانها دفع الاوساط الوطنية الكردية الى أوار الثورة مع انها اهتمت ، حسبما يذكر عادل غنيمة ، بـ « ضم مناطق العشائر العربية والكردية الى الحركة الثورية للاعتماد عليها في الكفاح المسلح » (١٢٨) • ومما يجسد قصور القيادة أكثر ان الاوساط الوطنية العربية كانت عشية الثورة على قدر من العلم بان عوامل الانفجار تسود المنطقة الكردية• فقد جاء في رسالة لجمعية العهد ـ فرع الموصل الى مولود مخلص تحمل تاريخ ١٣ اذار ١٩٢٠ ذكر أربع نقاط رئيسية حول الوضع العام ، هذا نص الثالثة منها :

« الاكراد مستاؤون جدا من الانكليز ، ومستعدون للقيام بثورة

---

(١٢٨) عادل غنيمة ، تطور الحركة الوطنية في العراق ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٩ •

جديدة ، وكذلك العشائر العربية » (١٢٩) • وقبيل ذلك ورد التأكيد على الشيء نفسه في وثيقة اخرى لهذه الجمعية تقول : « لقد سمعنا من بعض مشايخهم (مشايخ الاكراد والبدو ـ ك• م•) بعض التذمرات كقولهم ماذا نصنع فقد راجعناكم وراجعنا دمشق واتصلنا بالقسطنطينية بخصوص القيام بحركة ضد الانكليز فلم نأخذ جوابا شافيا » (١٣٠) • وبعد أقل من اسبوعين أكدت قيادة الجمعية نفسها هذا الامر في رسالة أخرى لها بعثتها الى مركزها في الشام واستهلتها بالقول : « ان الاكراد بطرفنا قد تهيأوا للثورة مجددا وهم ينتظرون اشارتنا اليهم ، ونحن لازلنا على اتصال معهم ومخابراتنا مع كثير من رؤسائهم لم تنقطع ، وقد عزمنا على ارسال ضباط عسكريين من أرباب الوطنية والمقدرة الى طرفهم لادارة حركاتهم عند القيام بالثورة » (١٣١) •

وأهم من ذلك ما ورد في كتاب سري بعثته جمعية العهد ـ فرع الموصل الى « شعبة جمعية العهد العراقي في بغداد » يحمل تاريخ ١٠ رجب ١٣٣٨ (٣٠ أو ٣١ اذار ١٩٢٠) ، نعرض فيما يلي نصه:

« ٥ ـ اخواننا الاكراد المجاورون لنا مستعدون للثورة ، وانهم بانتظار اشارتنا ، وكذلك عرب الجزيرة سيقومون بمثل ذلك ، ولنا الامل بالنجاح التام ان شاء الله • فالى العمل

---

(١٢٩) راجع : « صدى الاحرار » ، ٢٦ أذار ١٩٥٣ •
(١٣٠) « صدى الاحرار » ، ٣ نيسان ١٩٥٣ •
(١٣١) « صدى الاحرار » ، ١٦ تشرين الثاني ١٩٥٣ •

أيها الاخوان فقد آن وقته » (١٣٢) .

ولكن بالرغم من كل ذلك لم تحاول قيادة الثورة الاتصال بالقوى الكردية المعادية للانكليز ، مع أن قطاعا منها نزل الى سوح النضال من جديد بشكل يستلفت النظر ، بحيث قلما صدر بلاغ رسمي منذ اب ١٩٢٠ لم يرد فيه ذكر اسم منطقة كردية أو أكثر بدأت أخبارها تتسرب حتى الى صحافة الثورة بشكل أو بآخر(١٣٣)، ولكن دون أن تقيم أهميتها كما يجب فتحاول استغلالها ، أو مجرد التعليق عليها .

ولاينكر أن فرع الموصل لجمعية العهد أبدى تفهما أعمق من غيره في هذا المجال ، فكان على بعض الاتصال بالاوساط الكردية المعادية للانكليز في منطقة بادينان ، وبذل زعماؤه جهودا مخلصة لدفع القيادة العامة للجمعية الى التعاون مع الحركة الثورية الكردية، الا أن تلك القيادة لم تكن لتؤمن ـ حسبما جاء في وثائق مهمة لها ـ «بالثورات الدموية المسلحة» ، بل أرادت أن تكون كل المساعي « محصورة على الثورات الفكرية الادبية » (١٣٤) . ولم تكن الجماهير المستاءة تؤمن بمثل هذا الاسلوب من النضال . فقد جاء

(١٣٢) « صدى الاحرار » ، ٣١ تموز ١٩٥٣ .

(١٣٣) راجع مثلا : « الاستقلال » ، النجف ، العدد الاول ، ١ تشرين الاول ١٩٢٠ ؛ العدد الثاني ، ٣ تشرين الاول ١٩٢٠؛ العدد الثالث ، ٥ تشرين الاول ١٩٢٠ .

(١٣٤) « صدى الاحرار » ، ١٦ كانون الثاني ١٩٥٣ .

في رسالة بعثتها جمعية العهد - فرع الموصل الى المركز في الشام مانصه :

« لقد سئم الناس من التحريض الادبي في طلب الاستقلال ، أو بأسم الجنسية والوطن ، فعلينا ان نترك أمثال هذه الامور ، وان نكون عمليين بانتهاز الفرص والتكتل بأسم الجامعة الاسلامية والاتفاق مع الامم المناهضة لسياسة الحلفاء » (١٣٥) .

ومما لاشك فيه أن مثل ذلك الموقف غير العملي للقيادة المركزية للعهد قد أثر سلبا على التحرك الجماهيري ، على الاقل في منطقة بادينان . فقد ورد في وثيقة مهمة لفرع الموصل للجمعية أن «الثورات قائمة على قدم وساق ، وبين مد وجزر ، في بعض المناطق الكردية كزاخو والعمادية والسليمانية وغيرها ، أما نحن فلا زلنا مكتوفي الايدي بالنظر الى التعليمات التي كنا قد تلقيناها منكم بوجوب الاخلاد الى الهدوء والسكينة لحين مجيء الوفد الامريكي الى طرفنا ، ولولا ذلك فان الفرص مواتية في الوقت الحاضر للقيام بثورات مسلحة لان الكثير من عشائر الاكراد الذين لم يثوروا بعد ، وكذلك العشائر العربية الكائنة غربي الموصل مستعدة للثورة عند أول اشارة »(١٣٦).

ولكن بالرغم من كل هذا الزخم واضحة المعالم فان قيادة الثورة في بغداد ومدن الفرات الاوسط ظلت معزولة عن المنطقة الكردية .

---

(١٣٥) « صدى الاحرار » ، ٣ نيسان ١٩٥٣ .

(١٣٦) « صدى الاحرار » ، ٣٠ كانون الثاني ١٩٥٣ .

فلم يكن لدى «مكتب الثورة» وحزب «حرس الاستقلال» تصور واضح للمسألة الكردية أو حتى مجرد فرع أو نشاط في المنطقة مع انهما كان لديهما فروع ومعتمدون في معظم المدن والقصبات العراقية، وكانا على اتصال بزعماء الانتفاضة في العديد من المناطق المجاورة لبؤر الثورة في كردستان (١٣٧) . ومما يجسد هذا النقص أكثر أن «مكتب الثورة» كان منذ تأسيسه في العام ١٩١٨ «على علم بجميع مايجري من الاوامر والحركات العسكرية والسياسية لحكام الاحتلال ولجيشه الجرار » حسب قول أحد مؤسسيه (١٣٨) .

وفي الواقع لايمكن فصل هذه الحقيقة عن طبيعة القيادة نفسها، التي لم تدرك ، وماكان بامكانها أن تدرك ، أهمية النضال المشترك في التحرك الجماهيري فتوليه مايستحق من اهتمام ، وهي بحكم تركيبها كانت تفتقر أصلا الى الوسائل الفعالة التي يمكنها من تحقيق هذه الغاية المهمة .

من كل ماسبق يبدو واضحا أن فرصا غير قليلة قد ضاعت قبيل الثورة وفي أيامها ، كان بالامكان استغلالها وتحويلها الى قوة دفع أخرى لثورة العشرين . علما بأن الترابط اللاارادي بين أحداث المنطقتين كان قويا الى درجة ان انحسار الثورة ثم اندحارها في

---

(١٣٧) راجع : علي ال بازركان ، المصدر السابق ، ص ١٧٢ ـ ١٧٣ ، ١٨١ ؛ محمد علي كمال الدين ، المصدر السابق ، ص ٣٦ ـ ٧٨ .

(١٣٨) محمد علي كمال الدين ، المصدر السابق ، ص ٧٨ .

الجنوب قد اثرا بشكل مباشر على زخم التحرك المعادي للانكليز في الشمال • فاذا استثنينا النشاطات المحدودة للكماليين ومجيء اوزدمير (١٣٩) الى منطقة رواندوز مع بعض التحركات الصغيرة المرتبطة بذلك ، فان الانكليز لم يروا منذ انتهاء الحرب هدوئا نسبيا في كردستان يشبه ماحدث بعد القضاء على «ثورة العشرين» وعلى مدى أكثر من عام واحد •

من شأن هذه الحقائق أن تتوضح أكثر من خلال استعراضنا السريع لاهمية « ثورة العشرين » والعوامل التي أدت الى اخفاقها في تحقيق جميع مهماتها ، وذلك في خاتمة الكتاب •

---

(١٣٩) اوزدمير باشا من العسكريين العثمانيين السابقين ، وكان مطلعا على شؤون المناطق الكردية ، بعثه الكماليون في العام ١٩٢١ على رأس قوة صغيرة الى منطقة رواندوز حيث زاول بعض النشاط الدعائي والعسكري ضد الوجود البريطاني ، وقد اتصل من اجل ذلك بعدد من الرؤساء المتنفذين في رواندوز وكويسنجق وأربيل ورانية وكركوك والسليمانية •

الخـاتمة

تحتل « ثورة العشرين » مكانة جد بارزة في حركة التحـرر الوطني للشعب العراقي • فهي تشكل اول انتفاضة عامة معاديـة للاستعمار ، اشترك فيها ممثلـو جميع الطبقات والفئات الاجتماعيـة والقوميات والطوائف الدينية الذين كان يجمعهم هدف أعلى واحد• وبحكم ذلك كان من الطبيعي ان تؤدي الى نتائج مهمة على الصعيـد السياسي بشكل خاص •

فقبل كل شيء اقتنع المستعمرون الانكليز بفشل سياستهم العامة في العراق ، وبعدم امكانية حكمه باساليب ما قبل الحرب الكولونيالية، مما أجبرهم على تراجعات معينة أسفرت عن اقامة نظام يعتمد عـلى «ملك واحد والف شيخ» أطلقوا عليه اسم «الحكـم الوطني» الذي كان ، بالرغم من كل نواقصه ومثالبه ، خطوة الى أمام بالقياس مـع ماكان سائدا قبل ذلك من حكم احتلالي مباشر • ومهما يكن مـن أمر فان الانكليز لم يكونوا على استعداد لمثل هذا التراجع الجزئـي قبل صيف العام ١٩٢٠ ، أي قبل ان تكلفهم هبة جماهيرية واحـدة

في أحرج أيامهم أموالا طائلة (١) غدت موضوع نقاش حام في

---

(١) تختلف المصادر في تقدير خسائر الانكليز المادية بسبب « ثورة العشرين »· فحسب بعض المصادر كلف قمعها ٤٠ مليون باون (راجع :
((Iraq. An introduction to the past and present of the Kingdom of Iraq)), P. 24)
ويقدر البعض هذا المبلغ بثلاثة أضعاف ما قدمته انكلترا من مساعدات خلال الحرب الشريف مكة على شكل ذهب وأسلحة وتجهيزات (راجع :
Seton Lloyd, Twin Rivers. A brife history of Iraq from the earliest times to the present day)), third editition, Bombay, 1961. P. 212) .
وكما تشير مصادر اخرى فان « ثورة العشرين » كلفت الخزينة البريطانية ما لايقل عن ١٠٠ مليون باون (راجع :
W. Ireland, Op. Cit:, P. 273 ;
ا·م· مينتيشاشفيللي· العراق في سنوات الانتداب البريطاني· موسكو ، ١٩٦٩ . ص ١٠٠ ــ ١٠١ (في الترجمة العربية للدكتور هاشم صالح التكريتي ــ بغداد ، ١٩٧٨ ــ ص ١٦٩)·
وفي الواقع لا يصح حصر خسائر الانكليز المادية في ماصرفوه خلال صيف وخريف ١٩٢٠ ، أي اثناء العمليات الفعلية ضد الثوار· فان اثار « ثورة العشرين » فرضت على الانكليز الاحتفاظ بقوات كبيرة في العراق لمدة غير قصيرة ، تحولت الى عبء كبير على كاهل الخزينة البريطانية · فان كلفة تلك القوات بلغت في العام الذي اتبع الثورة ما لايقل عن ٢١ مليون باون (راجع : ب· م· دانتسيك ، العراق بالامس واليوم، موسكو، ١٩٦٠ . ص ٢٤)·اما خسائر الطرفين في الارواح فقد أجتمعت المصادر تقريبا على تقديرها بحوالي ٤٢٦ قتيلا و ١٢٢٨ جريحا و ٦١٥ مفقودا في الجانب الانكليزي وحوالي ٨٤٥٠ قتيلا وجريحا في جبهة الثوار ·

البرلمان الانكليزي وعلى صفحات الجرائد البريطانية وفي مجالات اخرى من شأنها توضيح أبعاد ذلك التراجع • فقد وصمت جريدة الـ «تايمس» في عددها الصادر يوم ٧ اب ١٩٢٠ «سياسة الحكومة تجاه بلاد مابين النهرين » بالغباء وطالبت باعادة النظر فيها (٢) • اما جريدة الـ «اوبزيرفر» فانها اعتبرت في عددها الصادر يوم ٢٣ اب ١٩٢٠ ان من المضحك «التفكير في ان واجبنا الاساس هو فرض قوانيننا على شعب بين لنا بوضوح تام انه ليس بحاجة لها » • وجاء ابلغ تعبير حول الموضوع نفسه على لسان جريدة الـ «ساندي تايمس» التي ذكرت في عددها الصادر يوم ٢٣ اب ١٩٢٠ ما نصه :

« أو ليس من الافضل لنا ان نعترف بفشلنا ونكف عن التدخل في حياة ثلاثة ملايين عربي يودون شيئا واحدا فقط : التمتع بامكانات تسمح لهم بان يصبحوا سادة مصيرهم ؟ • ان روما لم تضمحل عندما تنازل ادريانوس عن فتوحات ترايانوس » (٣) •

---

(٢) ذهبت بعض الصحف الانكليزيه الى حد أبعد من ذلك عندما طالبت ، تحت تاثير ضربة « ثورة العشرين » ، بتغيير مجمل السياسة البريطانيه في الشرق الاوسط (للتفصيل راجع : الدكتور فاروق صالح العمر ، حول السياسة البريطانيه في العراق ، ص ٨٨ ـ ٨٩) •

(٣) في هذا التشبيه تكمن بلاغة الجريدة • فمن المعروف ان امبراطور روما ترايان (أو ترايانوس Traianus) قد حقق خلال فترة حكمه (٩٨ ـ ١١٧م) فتوحات واسعة امتدت الى مناطق شرقية مختلفة ، الا ان خلفه الامبراطور أودريان (أو ادريانوس ـ هدريانوس Hadrianus) (١١٧ ـ =

ان مثل هذا الموقف لم يعبر سوى عن يأس واضح أمام ارادة الشعب العراقي ، وهو في واقعه صورة موسعة ليأس مشابه انتاب الانكليز جراء الحركات الكردية عشية «ثورة العشرين» ، والذي أشرنا الى تفاصيله ضمن القسم الثاني من الفصل الاول •

كانت « ثورة العشرين » اول تحد عام للشعب العراقي بوجه المستعمرين ، فتكون بذلك اول درس مهم على درب النضال المرير الذي ظل في مضمونه وأهدافه هو هو على مدى أربعة عقود لاحقة ، وان تغير في شكله • وهي لم تساعد على كشف حقيقة المستعمر أكثر حسب ، بل بعث الثقة في نفوس العراقيين الذين أيقنوا انهم يتمكنون بنضالهم الدؤوب من فرض ارادتهم وتطهير أرضهم من رجس المحتلين • وليس مجرد صدفة أن جميع الذين استجوبوا في السماوة من أبناء الفئات الاجتماعية المختلفة أكدوا ، دون استثناء ، ان الثورة لم تفشل ، بل على العكس من ذلك انها انتصرت وفرضت ارادتها على الانكليز • وقد ذهب بعضهم الى القول بأن المحتلين هم الذين اضطروا الى طلب الصلح والرضوخ لجميع مطاليب الثوار (٤) • ومرة اخرى ليس مجرد صدفة ان اكثر الرؤساء مساومة ظلوا

=

١٣٨م) تنازل عن ممتلكات الامبراطورية في الشرق وذلك بسبب عدم توفر الامكانات الضرورية التي تتيح له الحفاظ على تلك المناطق •

(٤) رجاء أحمد ، بحث ميداني عن « ثورة العشرين » •

يتفاخرون فيما بعد باشتراكهم في «ثـورة العشرين» ، ويحاولـون استغلال ذلك لتعزيز مركزهم السياسي وللنيل من خصومهم • وقـد حدث مرارا ان تباهى نواب عشيريون في البرلمان باشتراكهم في الثورة• ولايخلو من مغزى ان النظام الملكي عندما مني بهزيمة كبرى جعلته على حافة الهاوية تحت زخم الانتفاضة الجماهيريـة للعـام ١٩٤٨ ، كلف السيد محمد الصدر لتشكيل الوزارة الجديدة باعتباره واحدا من قادة « ثورة العشرين » •

كل ذلك ، وغير ذلك ، جعل لـ «ثورة العشرين» مكانة خاصة في قلوب العراقيين عربا وكردا واقليات • فانها تحولت الى مصـدر وحي للادباء ، ولاسيما الشعراء منهم الذين تغنوا بامجادها وبطولاتها بشكل لم يسبق له مثيل (٥) • وقد أصبحت عنوان احدى الروايات العراقية المبكرة التي تعود الى العام ١٩٣٨ (٦) •

وأحدثت الثورة صدى ملموسا لها عـلى الصعيـد الخـارجي انعكس ، كما بينا ، على الوضع السياسي في انكلتـرا وعلى نضـال

---

(٥) راجع : ابراهيم الوائلي ، ثورة العشرين في الشعر العراقي ، بغداد ، ١٩٦٨ (١٩٠ صفحة) • لم تنعكس « ثورة العشرين » في الادب الكردي حتى الان ، ويعود سبب ذلك حتما الى ان ادباء الكرد لم يلمسوا ، كما يجب ، بطولات ابائهم في تلك الانتفاضة الجماهيرية الرائعة •

(٦) نشر عبدالحميد الراضي رواية بعنـوان « الثـورة العراقيـة الكبرى » في العام ١٩٣٦ (راجع : ابراهيم الوائلي ، نفس المصدر ، ص ١٦٥) •

الأيرانيين ضد المعاهدة الانكلو ـ ايرانية (٧) • وقد تجلت آثارها واضحة في أعمال ومقررات مؤتمر شعوب الشرق الاول الذي انعقد بمدينة باكو في أيلول ١٩٢٠ (٨) •

تعد «ثورة العشرين» مؤشرا مهما للايذان ببزوغ فجر جديد مهم في النضال التحرري العراقي الذي شهد بداية تحول الشعارات البورجوازية الوطنية الى أهداف سياسية سامية التفت حولها مختلف قطاعات الشعب العراقي • فقد بدأت قضايا الوطن والاستقلال السياسي ، بل وحتى التحرر الاجتماعي ، تحل محل المطاليب العشيرية او المحلية الضيقة • ويعتبر تحول المدن الى احد أهم مركزين للنضال والقيادة واحدا من النتائج التي تمخضت عن هذا التحول • فاذا كان الريف ، مركز العشيرة ، يشكل قبل الحرب الوسط الاساس للتحرك السياسي، فان المدينة بدأت تضاهيه في الاهمية أيام « ثورة العشرين » ليتحول ذلك الى أشبه مايكون بمقدمات جعلت من«المدينة

---

(٧) راجع ص ٤٨ من الفصل الاول •

(٨) أثناء التحضير لعقد المؤتمر عشية «ثورة العشرين» جرى التأكيد على شعوب تركيا وايران والقفقاس فقط ، بينما تغير الموقف كثيرا بعد انفجار الثورة التي دفعت بالقيمين على أعمال المؤتمر الى ايلاء بقية شعوب الشرق الاوسط اهتماما اكبر ، فانعكس اسم «بلاد مابين النهرين» و «نضال فلاحيها» ضد المستعمرين الانكليز ، ونهب هؤلاء لثرواتها ، بارزا في كلمات الخطباء ومقررات المؤتمر بشكل عام (للتفصيل راجع : زهير أحمد القيسي ، القضايا العربية في مؤتمر باكو ـ ١٩٢٠ ، ـ « آفاق عربية » ، العدد ١٢ ، اب ١٩٧٦ ، ص ٨٠ ـ ٨٥) •

تجر وراءها القرية ، سياسيا بعد قمع الثورة بفترة وجيزة • ولمثل هذا التحول أهميته السياسية والاجتماعية ، لان جيش النضال الرئيس في المدن يكون عادة اكثر وعيا من نظيره في الريف • وفعلا تحولت شغيلة بغداد الى لولب من نوع جديد في التحرك الذي شهدته المدينة عشية «ثورة العشرين» وفي أيامها • فان اجتماعات بغداد التي كانت تمثل احدى أهم ذروات الوعي العراقي يومذاك ، كانت تعتمد على الشغيلة بالاساس ، يحركها أبناء الفئة المثقفة • ونورد هنا نموذجين من التقارير السرية لبوليس بغداد لهما مغزاهما العميق جدا • فقد وصف أحد التقارير المظاهرة التي حدثت في «شوارع شرق بغداد» والتي كانت « تقرع الطبول والصفائح وتهتف للاستقلال » بقيادة شخصين ••• « أحدهما ، وهو الشيخ طه بن خضير ، كان بائع أخشاب صغيرا من غرب بغداد ، أما الثاني ، وهو عبدالرزاق بن علي، فقد كان طباخا من محلة الفضل » • وقد ورد في تقرير سري اخر للبوليس عن الاجتماع الذي عقد في جامع الحيدرية بتاريخ ١٥ تموز ١٩٢٠ ما نصه :

« وعندما أخذ الجمهور بالتفرق لم يكن بوسع المرء الا أن يلحظ النوعية الفقيرة من الناس ــ الشغيلة ورواد المقاهي »(٩) •

ومن المهم ان نلاحظ هنا أيضا ان فكرة الاستقلال لم تتبلور في ذهن الفلاح العراقي من قبل بالشكل الذي حدث أيام «ثورة

(٩) راجع : «أيام من ثورة العشرين في بغداد» ترجمة واعداد الدكتور صالح جواد الكاظم •

العشرين » ، وذلك بغض النظر عن التأثير المحدود الذي لعبته هذه الفكرة بالقياس مع بعض العوامل الاخرى في تحريكهم • ولكن ، مثلما ذكرنا ، فان القيادة الروحية قد طلبت من رؤساء العشائر ان يهتفوا ، هم ورجالهم ، للاستقلال في ميادين القتال • وان في ما قاله البسطاء من الشعراء الشعبيين أيام الثورة بعض الدليل على هذه الحقيقة (١٠) •

ليس من شك في ان «ثورة العشرين» ساعدت على « رفع الوعي لدى العرب والكرد ، وأسرعت بشكل ملموس في عملية توحيد القوى الوطنية في صراعها ضد الاستعماريين الانكليز » (١١) • فهي دشنت ، بوقائعها ودروسها ، بداية جديرة للنضال العربي ـ الكردي المشترك الذي تحول الى عنصر محرك أساس لمجمل حركة التحرر الوطني في العراق •

صحيح انه كان بامكان الشعب الكردي ان يلعب دورا اكبر في أحداث « ثورة العشرين » لولا تفاعل مجموعة عوامل نابعة من ظروف خاصة وعامة تطرقنا الى تفاصيل معظمها ، الا ان لدوره المحدد ذاك مكانته في تأريخ الثورة باعتباره بداية مهمة لتحول نوعي في النضال

---

(١٠)) راجع النماذج التي يذكرها الفياض في كتابه (الدكتور عبدالله الفياض ، المصدر السابق ، ص ٢٦١ـ٢٦٤) •

(١١) راجع : « العراق المعاصر » ، مجموعة من المستشرقين السوفيت ، موسكو ، ١٩٦٦ ، ص ١٣٥ ؛

((Iraqi Review)), Vol. I, No. 6, July 2, 1959, P. 3.

لم يجربه العراقيون طيلة تأريخهم الحديث الذي سبق العام ١٩٢٠ .
ومع ذلك فان عدم تكريس كل الطاقة الكردية لخدمة القضية
المشتركة في العام ١٩٢٠ يدخل ضمن العوامل التي حالت دون ان
تمكن « ثورة العشرين » من تحقيق جميع أهدافها . وهو أمر
يؤكده العديد من الباحثين ، بما فيهم عدد غير قليل من
المستشرقين(١٢) .

وبالرغم من اهمية هذا العامل ، فان عوامل اكبر وأهم اسهمت
في خلق الظروف المناسبة للتعجيل في قمع الثورة من قبل الانكليز .
وبالطبع يأتي الاختلاف الكبير في ميزان القوى بين الثوار والمستعمرين
على رأس قائمة هذه العوامل . فقد استخدم المستعمرون الانكليز
قوات كبيرة تجاوز تعدادها ١٠٠ ألف شخص مزودين باحدث
الاسلحة وبغطاء جوي فعال شل نشاط الثوار في العديد من المناطق
ودفع بعشائر كثيرة الى اتخاذ موقف حذر للغاية من الثورة . وقد
أثر ظهور الطائرات مرارا في سماء المناطق الكردية على موقف بعض
العشائر هناك ، ولاسيما في أربيل وخوشناو .

---

(١٢) راجع مثلا : ب. م. دانتسيك ، المصدر السابق ، ص ٢٣ ؛
ا. م. مينتيشاشفيللي ، المصدر السابق ، ص ١٠١ (في
الترجمة العربية ص ١٦٩-١٧٠) . راجع كذلك : سعاد
خيري ، من تأريخ الحركة الثورية المعاصرة في العراق ١٩٢٠ -
١٩٥٨ ، الجزء الاول ، الطبعة الثانية ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص٣١.

ولم يكن لطبيعة الكيان الاجتماعي القائم في العراق يومذاك الدور الاخير في رسم مصير « ثورة العشرين » • فان قرونا من الاستغلال الاقطاعي الاسيوي المتخلف ، وان قوة بقايا الاشكال المبكرة من النظام القبلي ، وعوامل اخرى حددت وعي الفلاحين – جيش الثورة الرئيس – الى حد كبير • فحينما تحرك رئيس العشيرة تحرك معه الفلاحون ، ومتى ما القى هو السلاح القوا هم بدورهم السلاح وتركوا سوح النضال • بل ان قطاعات واسعة من الفلاحين لم تحمل السلاح أصلا بالرغم من استيائها ، وذلك لمجرد سبب « بسيط » واحد هو ان الانكليز تمكنوا من كسب زعمائها الى جانبهم قبل الاحتلال او بعده مباشرة ، كما حدث بالنسبة لمناطق واسعة في حوض دجلة الجنوبي وغيره حيث بقيت « العشائر » موالية للانكليز ، مما كان يعني تحديد نطاق المناطق الثائرة أولا ، وتسهيل مهمة القوات المعادية بتركيز نشاطها على أقل المساحات ثانيا • وقد تجسد هذا الواقع بشكل واضح في العديد من المناطق الكردية التي لم تختلف كثيرا عما ساد حوض دجلة الجنوبي أيام «ثورة العشرين»• وقد لاحظ الدكتور كاتلوف بحق ان المجتمع العراقي كان مقسما انداك الى « عدة مئات من القبائل العربية والكردية الكبيرة والصغيرة التي كانت تضع (كل واحدة منها – ك• م•) العشيرة في مقابل بقية سكان البلاد »(١٣) •

---

(١٣) ل• ن• كاتلوف ، انتفاضة ١٩٢٠ الوطنية – التحررية في العراق ، ص ٦١ •

ومن جانب اخر فان الولوج الى ما وراء المظاهر يبين انه كان هناك اصطفاف واضح للقوى المؤيـدة للثـورة ، وتلك التي كانت تعاديها عن ادراك • واذا لم يكن الامر قد اتخذ طابعا طبقيا واضحا ، فذلك لان أربعة قرون من السيطرة العثمانية المتخلفة والتطورالبطيء في القاعدة الاجتماعية ، وعوامل اخرى مرتبطة بهما ، حالت دون تعميق التناقضات الداخلية التي خفت اكثر تحت وطأة المحتل الجديد الذي ارتكب في البداية من الاخطاء مـا مس أيضـا مصالح فئـات اجتماعية عليا معينة • ومع ذلك فـان جانبـا مهما من هـذه الفئـات وكل الكومبرادور العراقي ، وقف في الخندق المعادي للثورة • ومن المفيد ان نورد هنا ما يرويه الدكتور محمـد مهـدي البصـير عن « القاء الحكومة (١٤) نفسها في أحضان زمرة من الاغنياء والاشراف عرفوا بالتزلف الى القوات المسيطرة ، وقد أقنع اولئك النفعيون ممثلي السلطة بان الجمهور في قبضتهم ورهن اشارتهم ، وانهـم يديرون مقاصده وأفكاره حسب ما يشاؤون » ، فلقيت « هذه الوساوس صدورا رحبة في دوائر السلطة المحتلة » لانها كانت تجعلها في غنى « الى حامية كبيرة في بلاد يضعها أشرف أبنائها في قبضـة الحكومـة المحتلة عن طيب خاطر » (١٥) •

وفعلا لم يلعب العديد من الرؤساء ، بمافيهم رؤساء كرد ،

---

(١٤) يقصد سلطة الاحتلال •

(١٥) محمد مهدي البصير ، المصدر السابق ، الجـزء الاول ، ص ٦٨ـ٦٩ •

دورا قليلا في فت عضد الناس وابعادهم عن الحركة الوطنية في أدق مراحلها (١٦) • فان « بعض سماسرة الاستعمار كانوا يزينــون الخيانة لبعض الزعماء » أيام الثورة ، وبتأثير من ذلك فان « بعض الزعماء الذين لم يعرفوا الخيانــة من قبل » أصبحــوا « من ذوي الوجهــين ، وجــه وطــني أمــام الوطنيين ، ووجــه انكليزي أمــام أسيادهم »(١٧) • بل وقبل ذلك ، وبالضبط أثناء حوادث النجف البطولية في ربيع ١٩١٨ عرض « بعض شيوخ العرب الذين عــلى الفرات ان يرسلوا عشائــرهم لتأديب اولئك المفسدين » حسبمــا أكدت صحافة السلطة المحتلة (١٨) ، كما دل أحد الاقطاعيين قوات الاحتلال على الطريق الذي يمكن من خلاله توجيه الضربة القاضية الى الثوار الاكراد المحصنين ايام انتفاضــة الشيخ محمود في العــام ١٩١٩ • ولا غرو في ان تحولت أحداث « ثورة العشرين » الى محك لمعرفة أخلص الرؤساء للانكليز • فقد فتحت أمام البعض ممن أثبتوا الاخلاص أبواب الثروة والوظائــف والبرلمــان ، وأمتــد الــكرم

---

(١٦) يتطرق أحد المعاصرين للثورة الى هذا الواقع بأسلوب بسيط وطريف (راجع : محمد طاهر العمري ، المصدر السابق ، الجزء الثالث ، ص ١١١ـ١١٣) •

(١٧) القول لال بازركان الذي يؤكد انه شاهد بنفسه أناسا اتوا من الحلة الى النجف بأسم الزيارة ولكنهم ، في الواقــع ، كانــوا يبتغون جمع المعلومات عن الوضع (للتفصيــل راجــع : علي ال بازركان ، المصدر السابق ، ص ١٩٩ـ٢٠٠) •

(١٨) راجع : «العرب» ، ٢٩ اذار ١٩١٨ •

الانكليزي ليشمل بعض السنجاويين (١٩) الذين تبوأوا مراكز لم يحلم بها أبناء معظم العشائر الكردية الاخرى • كما بدأ المسؤولون الانكليز يعتمدون اكثر على الرؤساء الموالين لجمع الضرائب (٢٠)، مما تحول الى وسيلة للاثراء بالنسبة لهؤلاء على حساب الفلاحين •

واننا لا نبتغي من عرض هذه الامثلة سوى التأكيد على طبيعة الفئات الاجتماعية التي ماكان في الامكان القيام بعمل سياسي كبير، في ظروف العشرينيات ، دون دورها القيادي الذي تأثر مباشرة بطبيعة تكوينها كأي عنصر اجتماعي آخر •

ولم يقتصر التذبذب في الموقف ، والوقوف أحيانا في الخندق المقابل للثورة على قطاع من رؤساء العشائر والملاكين الذين ظهر من بينهم الكثيرون ممن أخلص لقضية الثورة وضحى في سبيلها حتى يومها الاخير • فالبورجوازية التجارية الكبيرة الوسيطة (الكومبرادور) كانت تقف ، بحكم مصالحها وواقع تكونها (٢١)، ضد كل ما من شأنه عرقلة تثبيت النفوذ السياسي والاقتصادي الغربي في البلاد • وليس عبثا ان نشرت جريدة الـ « تايمس » في عددها الصادر يوم ٩ تشرين الاول ١٩٢٠ بارتياح واضح نبأ ما اعلنه « عدد من وجهاء البصرة » عن تأييدهم للادارة البريطانية و « واستنكارهم

---

(١٩) عاد السنجاويون الى مواطنهم الاصلية بعد اداء مهمتهم غير المشرفة (راجع : (W. Ireland, Op. Cit., P. 70

(٢٠) راجع : م• و• و• ، رقم الملف S/50/D/1

(٢١) كان معظمهم من اليهود •

لكل اضطراب في البلاد » . وقد انعكست مساومات الفئات البورجوازية في المواقف التي تبنتها « جمعية العهد » وقادتها(٢٢) في تلك المرحلة الحاسمة من تاريخ البلاد . وبين أيدينا دلائل مقنعة كثيرة حول هذا الامر . ففي الايام الاولى للثورة قدم جعفرالعسكري أحد ابرز قادة « العهد » ، طلبا الى المسؤولين الانكليز يعرب فيه عن استعداده لتقديم خدماته للادارة البريطانية في بغداد . والانكى من ذلك ان الوثائق البريطانية السرية تشير الى اقتراح ورد الى وزارة الخارجية من « جمعية العهد » عن طريق ثابت عبدالنور ، يبين رغبة الجمعية في التعاون مع الانكليز لاعادة الاستقرار والامن الى ربوع بلاد الرافدين (٢٣) . من هنا فانه ليس بغريب ان نشر الزعيم الروحي للجمعية الامير فيصل في جريدة الـ « تايمس » (١٤ اب ١٩٢٠ ، اي ذروة أيام الثورة) تصريحا يعرب فيه عن اخلاصه « لفكرة الاتحاد العربي ـ الانكليزي » . واتخذ ابرز تجار بغداد ، ولا سيما البصرة ، موقفا مشابها من الاحداث الجارية (٢٤) ، مما

---

(٢٢) يستثنى من ذلك فرع الموصل .

(٢٣) F. O. 371/5231 (راجع ايضا : الدكتور فاروق صالح العمر ، حول السياسة البريطانية في العراق ، ص ٨٢) .

(٢٤) ذكر مزاحم الباجهجي ضمن كلمة القاها في المأدبة التي أقامها عبداللطيف باشا المنديل في البصرة بمناسبة توديع وكيل الحاكم السابق ولسن ، ذكر من الاقوال ما من شأنها القاء ضوء ساطع على مواقف ابناء هذه الفئات ايام «ثورة العشرين» (للتفصيل راجع : عبدالرزاق الحسني . الثورة العراقية الكبرى ، ص ٢٤٢ـ٢٤٣) .

أثر على التحرك الثوري في العديد من المدن العراقية •

وبالرغم من المواقف الجريئة والمخلصة للعديد من زعماء الثورة ، الا ان قيادتها لم تبلغ من الوعي السياسي ما يجعلها تقدر جميع الامور وتخطط لها بشكل صحيح • فالى جانب موقفها من الاحداث الثورية في المنطقة الكردية ، وقعت في أخطاء أخرى تدل على قصر نظر سياسي واضح • فقد ظلت هذه القيادة تتحرك داخل اطار ضيق لم يتعد ، الا فيما ندر ، حدود البلاد ، بينما كانت القضية العراقية وزخم الثورة يتطلبان الانطلاق على الصعيد الخارجي كذلك ، مثلما فعل مصطفى كمال في تركيا مثلا • وفي الواقع لم يتخذ التوجه الخارجي المحدود سوى شكل باهت من قبيل الامل في ان يقوم « الملك المتوج بجلائل الاعمال••• صاحب الجلالة الملك عبدالله الاول » بـ « تحرير عراقه ورفع علمه المنتصر »(٢٥) •

ويبدو من التناقض الحاد في الموقف من الانكليز (٢٦) ، ومن امور اخرى ، ان قيادة الثورة لم تفهم ، كما يجب ، طبيعة الاستعمار

---

(٢٥) اثناء الاحتفالات في جوامع بغداد كانت تباع صورة الامير عبدالله ، وقد كتبت تحتها بالعربية : « صاحب الجلالة الملك عبدالله الاول • ايها الملك المتوج بجلائل الاعمال حرر عراقك وارفع علمك المنتصر » (راجع : «ايام من ثورة العشرين في بغداد» ، ترجمة واعداد الدكتور صالح جواد الكاظم) •

(٢٦) يبدو ذلك جليا من خلال البون الشاسع بين الموقف المعتدل الذي تبنته جريدة «الاستقلال» النجفية من الانكليز والموقف الصلب الذي تبنته جريدة «الفرات» ازاءهم •

ومنفذي سياسته . فان زعماء الثورة نظروا الى رئيس الوزراء البريطاني السابق اسكويث غير نظرتهم الى رئيس الوزراء ايام الثورة لويد جورج ، وقيموا وكيل الحاكم الملكي العام المخلوع أرنولد ولسن تقييما يختلف عن تقييمهم للحاكم الملكي العام الجديد بيرسي كوكس (٢٧) ، مع ان جميع هؤلاء كانوا يلتقون في الهدف كليا ، وان اختلفوا بعض الشيء في اختيار بعض الوسائل لبلوغ ذلك الهدف . بينما نرى ان الثوار كانوا يأملون في ان تؤدي « حنكة كوكس السياسية ودهاؤه » الى ان يتبع « خطة اسكويت » ويحقق « أمانيه بتخلية عاصمة البلاد بغداد والانسحاب نحو البصرة مما يفسح له مجال المداولة مع الوطنيين الناهضين في تشكيل الحكومة الوطنية العراقية المطلوبة »(٢٨) .

---

(٢٧) علما ان ارنولد ولسن كان واحدا من تلامذة بيرسي كوكس الذي اعتمد عليه الى درجة انه خلفه في مكانه عندما اقتضت الظروف انتقاله الى ايران . كما ان وفاء ولسن للاخير بلغ حد انه عمل مخلصا لدفع العراقيين الى اختياره ملكا عليهم .

(٢٨) راجع : «الاستقلال» ، النجف ، العدد الاول ، ١ تشرين الاول ١٩٢٠ . عادت الجريدة الى الموضوع نفسه فتساءلت في عددها الثالث : «من كان يظن ان اسكويث ورفاقه يكونون في المجلس البريطاني حزبا يعضد الشعب العراقي ويرى ضرورة تخلية بغداد والانسحاب منها نحو البصرة » (راجع : «الاستقلال» ، العدد الثالث ، ٥ تشرين الاول ١٩٢٠) . ولم يقتصر هذا الامر على جريدة «الاستقلال» ، فان «الفرات» التي عرفت بمواقفها الحازمة تجاه المستعمرين الانكليز ذكرت في رسالة مفتوحة شديدة اللهجة وجهتها الى ارنولد ولسن ، مثل هذا القول الذي يدل على عدم =

تفاعلت هذه العوامل فيما بينها ، ومع غيرها ، فهيأت ظروفا انسب للمحتلين ليتمكنوا من قمع « ثورة العشرين » التي تبقى في جميع الاحوال تشكل صفحة خالدة في مجمل حركة التحرر الوطني للشعب العراقي ، واخرى مشرقة في النضال العربي ـ الكردي المشترك .

تفهم كامل لطبيعة الاستعمار : « يا حضرة الحاكم العام لقد حشدت حكومتك الجيش الجرار ، فحارب للحرية ودافع عن المدنية» في الحرب العالمية الاولى ... (راجع : «الفرات» ، العدد الخامس ، ٢ محرم ١٣٣٩ (١٥ أيلول ١٩٢٠) .

مصادر ومراجع الكتاب

ـ الوثـائق ـ

« أيام من ثورة العشرين في بغداد » ، ترجمة واعداد الدكتور صالح جواد الكاظم ، ـ « العراق » ، بغداد ، ٢٩ حزيران ١٩٧٨ (مجموعة وثائق سرية لشرطة العاصمة ايام ثورة العشرين).

المركز الوطني للوثائق ، بغداد :

الملف ٨/١٢ (١٩١٨ ـ ١٩١٩) ؛
الملف ١٨/١ (التبوغ في الموصل ، كركوك والسليمانية ، ١٩١٨ ـ ١٩١٩) ؛
الملف ١٥٧ (مراسلات حول الطباعة ، ١٩١٩) ؛
الملف ١٥١/١٥ (الصحافة والمطابع ، ١٩١٩ ـ ١٩٢٠) ؛
الملف ٢ / ١٠ (التبوغ ، ١٩٢٠) ؛
الملف س /٢٨/س (جنود خانقين ، ١٩٢١) ؛
الملف ١٤/١٦/س (مالية حلبجة ، ١٩٢٢) ؛
الملف ١/د/٥٠/ (مالية كركوك وأربيل ، ١٩٢٣) ؛

File 125/514 (Fish Tax, 1915—1918) ;
File 67/17 (Sulaimaniyah, Scarcity, 1918) ;
First Series, Vol. XIII.
File 51/1386 (Newspapers, 1918) ;
File 51/15—54 (Al—Arab, 1918) ;
File 8/12 (Khanaqin, 1918 — 1919) ;

File 168/57 (Irrigation Schemes for Kurdistan, 1919) ;
File 168/58 (Agriculture in Erbil, 1919) ;
File 51/3, P. II (Plough cattle — Sulaimaniyah, 1919) ;
File 21/D (Agriculture — Arbil Division, 1920) ;
File 25/01 (Sulaimaniyah — Municipality, 1920) ;
File 10/2 (Tobacco, 1920) ;
File 151/15, Vol. III, 1920.

((Civil Commissioner of Mesopitamia. Review of the Civil Administration of Mesopotamia presented to both Houses of Parliament by Command of His Majesty)), London, 1920.

((Documents on British Foreign Policy, 1914—1939)), First Series, Vol. XIII.

((Iraq. Report on Iraq Administration Apri 1922 — March 1923)), London, 1924.

((The Iraqi Directory. A general and commercial Direc— tory of Iraq, 1936)), Baghdad, 1936.

((The Public Record Office)), London, F. 0. 371/4342 ; 371/4601; 371/5069; 371/5231; 371/6349; 371/13428; 371/16849.

((Report by His Majesty's Government on the Adminis— tration of Iraq for the period April 1923 — December 1924)), London, 1925.

((Special Report by His Majesty's Government in the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the League of Nations on the progress of Iraq during the period 1920 — 1931)), London, 1931 .

« النشرة الصحفية لمفوضية جمهورية روسيا السوفيتية الاشتراكية في ايران » ، العدد الثالث ، اذار ١٩٢٨ (باللغة الروسية).

« وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي » ، الجزء السادس ، موسكو ، ١٩٦٢ (باللغة الروسيه) .

المصـــادر

صحافة الثورة وسلطة الاحتلال ، المذكرات ، مؤلفات المسؤولين الانكليز في العراق .

الاستقلال (جريدة) ، بغداد ، ١٩٢٠ .
الاستقلال (جريدة) ، النجف ، العدد الاول ، ١ تشريـــن الاول ؛ العدد الثاني ، ٣ تشرين الاول ؛ العدد الثالث ، ٥ تشريـن الاول ١٩٢٠ .
بيشكەوتن (التقدم ، جريدة أصدرها الميجر سون باللغة الكردية) ، السليمانية ، ١٦٢٠ ـ ١٩٢٢ .
تيكەيشتنى راستى (فهم الحقيقـة ، جريـدة أصدرتهـا سلطـات الاحتلال باللغة الكردية) ، بغداد ، ١٩١٨ ـ ١٩١٩ .
« خەباتى كەلى كورد لە يادداشتەكانى (ئەحمەد تەقي)دا، لابەرەيەك لە شورشەكانى شيخ مەحمود و سـمكو و هەستـانەكەى رەواندز » ، ريكخسـن و نامادەكردني بـو جـاب : جـەلال تەقى . بەغدا ، ١٩٧٠ (نضال الشعب الكردي في مـذكرات أحمد تقي ، باللغـة الكردية ، بغداد ، ١٩٧٠) .
رجاء أحمد بريش ، بحث ميداني عن « ثورة العشرين » .
رەفيق حلمي ، يا دداشت ، بەرگى ١ و ٢ و ٣ ، بەغدا ، ١٩٥٦ (رفيق حلمي ، المذكرات ، باللغة الكردية ، الاجزاء ١و٢ و٣ ، بغـداد ، ١٩٥٦) .
عبدالعزيز القصاب ، من ذكرياتي ، بيروت ، ١٩٦٢ .
« العراق » (جريدة) ، بغداد ، ١٩٢٠ .
« العراق في رسائل المس بيل » ، ترجمه وعلق عليه جعفر الخياط ، بغداد ، ١٩٧٧ .

«العرب» (جريدة) ، بغداد ، ١٩١٨ ـ ١٩١٩ .
علي ال بازركان ، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية ، بغداد ، ١٩٥٤ .
علي جودت الايوبي ، ذكريات ، بيروت ، ١٩٦٧ .
«الفرات» (جريده) ، النجف ، العدد الاول ٢١ ذي القعدة ١٣٣٨ (٧ اب ١٩٢٠) ؛ العدد الثاني ، ٢٨ ذي القعده ١٣٣٨ (١٤ اب ١٩٢٠) ؛ العدد الخامس ، ٢ محرم ١٣٣٩ (١٥ أيلول ١٩٢٠) .
فريق المزهر آل فرعون ، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ، بغداد ، ١٩٥٢ .
محمد رضا الشبيبي ، ثورة النجف ضد الاستعمار البريطاني ١٩١٧ ـ ١٩١٨ ، ـ «الثقافة الجديدة» ، بغداد ، العدد ٤ ، تموز ١٩٦٩ .
المس بيل ، فصول من تأريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر خياط ، بيروت ، ١٩٤٩ .
محمد علي كمال الدين ، معلومات ومشاهدات في الثورة العراقية الكبرى لسنة ١٩٢٠ ، بغداد ، ١٩٧١ .
محمد مهدي البصير ، تأريخ القضية العراقية ، الجزء الاول ، بغداد، ١٩٢٣ .
«نجمة كركوك» (جريدة عربية ـ تركمانية) ، كركوك ، شباط ١٩١٩.
«يادداشتی ئیسماعیل حەقی شاوەیس» ، دەسنوس ، د. کەمال مەزهەر ئابی سالی ١٩٧٠ توماری کردووە.«مذكرات اسماعيل حقي شاويس » ، سجلها د. كمال مظهر أحمد باللغة الكردية في آب ١٩٧٠ .
Edmonds C. J., Kurds, Turks and Arabs. Politics travel and research in North—Eastern Iraq, London, 1957.
Haldane A. L., The Insurrection Mesopotamia, Edin—burgh, 1922.
Hay W. R., Two Years in Kurdistan. Experiences of Political Officer 1918 — 1920, London, 1921.

Wilson A. T., Loyalities Mesopotamia 1914 — 1917. A personal and historical record, London, 1930.
Wilson A. T., Mesopotamia 1917 — 1920. A clash of loyalities, London, 1931.

المراجع
باللغة العربية

ابراهيم الوائلي ، ثورة العشرين في الشعر العراقي ، بغداد ، ١٩٦٨.
أسعد داغر ، مذكراتي على هامش القضية العربية .
أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى . تأريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن ، المجلد الاول ، القاهرة ، بلا.
أنور المائي ، الاكراد في بهدينان ، الموصل ، ١٩٦٠ .
حسين أحمد الجاف ، دور الشعب الكردي في ثورة العشرين الوطنية التحررية ، ـ «العراق» ، بغداد ، ٢٩ حزيران ١٩٧٨ .
الراصد التقدمي ، ثورة العشرين . البعد القومي والاهداف الوطنية ، ـ «العراق» ، ٢٩ حزيران ١٩٧٨ .
رفيق حلمي ، مقالات ، بغداد ، ١٩٥٦ .
زهير أحمد القيسي ، القضايا العربية في مؤتمر باكو ـ ١٩٢٠ ، ـ «آفاق عربية» ، بغداد ، العدد ١٢ ، اب ١٩٧٦ .
ستار جبر ناصر ، هوامش على كتاب علي الوردي لمحات اجتماعية في تأريخ العراق الحديث الجزء الخامس ، بغداد ، ١٩٧٨ .
سعاد خيري ، من تأريخ الحركة الثورية المعاصرة في العراق ١٩٢٠ ـ ١٩٥٨ ، الجزء الاول ، الطبعة الثانية ، بغداد ، ١٩٧٨ .
سليم علي الوردي ، الدكتور ، علم الاجتماع بين الموضوعية والوضعية . مناقشة لمنهج الدكتور علي الوردي في دراسة المجتمع العراقي ، بغداد ، ١٩٧٨ .
صالح جواد الكاظم ، الدكتور ، عن ثورة العشرين وبعدها القومي ،ـ

«العراق» ، ٣٠ خزيران ١٩٧٧ .
صديق الدملوجي ، امارة بهدينان الكردية أو امارة العمادية ، موصل، ١٩٥٢ .
عادل غنيمة ، تطور الحركة الوطنية في العراق ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
عبدالجبار العمر ، مصرع الكولونيل لجمان ، ـ « افاق عربية » ، بغداد ، العدد ١١ ، تموز ١٩٧٧ .
عبدالرزاق الحسني ، تاريخ الصحافة العراقية ، الطبعة الثالثة ، صيدا ، ١٩٧١ .
عبدالرزاق الحسني ، الثورة العراقية الكبرى ، الطبعة الثالثة الموسعة ، صيدا ، ١٩٧٢ .
عبدالرزاق الحسني ، ثورة النجف بعد مقتل حاكمها الكابتن مارشال، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٧٨ .
عبدالرزاق الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ، ١٦٣٨ ـ ١٩١٧ ، بغداد ، ١٩٥٩ .
عبدالشهيد الياسري ، البطولة في ثورة العشرين ، النجف ، ١٩٦٦ .
عبدالله الفياض ، الدكتور ، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ ، الطبعة الثانية ، بغداد ، ١٩٧٤ .
عبدالمنعم الغلامي ، ثورتنا في شمال العراق (١٣٣٧ ـ ١٣٣٨ هـ ، ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ م) ، الجزء الاول ، بغداد ، ١٩٦٦ .
عبدالمنعم الغلامي ، الضحايا الثلاث ، الموصل ، ١٩٥٢ .
عزيز السيد جاسم ، كيف يفهم الدكتور الوردي ثورة العشرين ؟ ـ « الجمهورية » ، بغداد ، ٢٩ و ٣٠ اب ١٩٧٧ .
علي سيدو الكوراني ، من عمان الى العمادية او رحلة في كردستان الجنوبية ، عمان ، ١٩٣٩ .
علي الوردي ، الدكتور ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، الجزء الخامس ، القسم الاول ، بغداد ، ١٩٧٧ ؛ القسم الثاني، بغداد ، ١٩٧٨ .
فائق بطي ، الصحافة العراقية ، ميلادها ، تطورها ، بغداد ، ١٩٦١ .
فاروق صالح العمر ، الدكتور ، حول السياسة البريطانية في العراق (١٩١٤ ـ ١٩٢١) ، بغداد ، ١٩٧٨ .

فاضل كريم ، خانقين خلال ربع قرن (۱۹۰۰ ـ ۱۹۲٥) ، ـ « التاخي » ، بغداد ، ١٣ و ١٤ و ١٧ حزيران ١٩٧٣٠
قحطان أحمد عبوش التلعفري ، ثورة تلعفر ١٩٢٠ والحركات الوطنية الاخرى في منطقة الجزيرة ، بغداد ، ١٩٦٦ ٠
كاتلوف ل٠ ن ، الدكتور ، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق ، ترجمة الدكتور عبدالواحد كرم ، الطبعة الاولى : بغداد ، ١٩٧١ ، الطبعة الثانية : بيروت ، ١٩٧٥ ٠
كمال مظهر أحمد ، الدكتور ، أضواء على قضايا دولية في الشرق الاوسط ، بغداد ، ١٩٧٨ ٠
كمال مظهر أحمد ، اكتوبر والمسألة الكردية ، تعريب محمد الملا عبدالكريم المدرس ، ـ «الثقافة الجديدة» ، بغداد ، العدد التاسع والعشرون ، تشرين الاول ١٩٧١ ٠
كمال مظهر أحمد ، الدكتور ، ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي، بغداد ، ١٩٧٧ ٠
كمال مظهر أحمد ، الدكتور ، دراسة سوفيتية عن «ثورة العشرين» ، ـ « التاخي » ، بغداد ، ٣٠ حزيران ١٩٧٠ ٠
كمال مظهر أحمد ، الدكتور ، دور الاكراد في «ثورة العشرين» ، ـ « التاخي » ، بغداد ، ١ تموز ١٩٧٠ ٠
كمال مظهر احمد ، الدكتور ، الكرد و «ثورة العشرين» ، ـ « مجلة المجمع العلمي الكردي » ، بغداد ، المجلد السادس ، ١٩٧٨ ٠
محمد أمين زكي ، تاريخ السليمانية وأنحائها ، ترجمة محمد جميل بندي الروزبياني ، بغداد ، ١٩٥١ ٠
محمد سلمان حسن ، الدكتور ، طلائع الثورة العراقية ٠ العامل الاقتصادي في الثورة العراقية الاولى ، الطبعة الثانية ، بغداد ، ١٩٥٨ ٠
محمد طاهر العمري ، تأريخ مقدرات العراق السياسية ، الجزء الثالث ، بغداد ، ١٩٢٥ ٠
مكرم الطالباني ، ابراهيم خان ثائر من كردستان ، بغداد ، ١٩٧١ ٠
« ملف ثورة العشرين ٠ الاسباب الموجبة » ، ـ « ألف باء » ، بغداد ، العدد ٥١٠ ، ٢٨ حزيران ١٩٧٨ ٠

منير بكر التكريتي ، الصحافة العراقيــة واتجاهاتها السيـاسية
والاجتماعية والثقافية من ١٨٦٩ ـ ١٩٢١ ، بغداد ، ١٩٦٩ ٠
مينتيشاشفيللي ا٠ م٠ ، العراق في سنوات الانتـداب البريطـاني ،
ترجمة الدكتور هاشم صالح التكريتي ، بغداد ، ١٩٧٨ ٠
نجدة فتحي صفوت ، عرش يبحث عن ملك ، ـ « آفاق عربيــة » ،
العدد ١٢ ، آب ١٩٧٨ ٠
يعقوب يوسف كوريا ، صحافة ثورة العشرين ، بغداد ، ١٩٧٠٠

باللغــة الكرديــة

كەمــال مەزهــەر ئەحمــەد ، ئوکتوبــەر و مەسەلــەی کورد ، ـ
« برايەتی » ، بەغدا ، زمارە ٩ ، سالی ١ ، سەرەتای کانونی
يەکەمی ١٩٧٠ ٠
کەمال مەزهەر ئەحمەد ، دوکتور ، « تيکەيشتنی راستی » و شوينی
لە روزنامەنوسی‌ی کوردیدا ، بەغداد ، ١٩٧٨ ٠

باللغــة الانكليزيــة

Atiyyah Gh. R., Iraq 1908 — 1921. A political study, Beirut, 1973.

Churchill W. S., The Great War, Vol. III, London.

Cruttwell C. F., A history of the Great War 1914—1918, Oxford, 1969.

Empson W., The Cult of the peacock angel. A short account of the Yezidi tribes of Kurdistan, London, 1928.

Foster H. A., The Making of Modern Iraq, Oklahoma, 1935.

Foster W. Z., Outline political history of the Americas, New York, 1951 (the Russian ed., M., 1953).
Gavan S. S., Kurdistan. Divided Nation of the Middle East, London, 1958.
((Iraq. An introduction to the past and present of the Kingdom of Iraq)).
Ireland P. W., Iraq; A study in political development, London, 1937.
Longrigg S. H., Iraq 1900 to 1950. A political, social and economic history, London, 1953.
Ormsby W., The organization of British responsibilities in the Middle East, — ((Journal of the Royal Central Asian Society)), London, Vol. VIII, 1920.
Seton Lloyd, Twin Rivers. A brife history of Iraq from the earliest times to the present day)), third edition, Bombay, 1961.
((Survey of International Affairs)), London, 1935.

باللغــة الروسيــة

أوهانيسيان ن. و. ، الدكتور ، نضال القوى الديمقراطية العراقية من أجل الغاء الانتـداب الانكليـزي (١٩٢٠ ــ ١٩٣٢) ، في كتاب « بلدان الشرقين الادنى والاوسط » يريفان ، ١٩٦٧ .
« بريطانيا العظمى » ، مجموعة مؤلفين ، ــ « الانسكلوبيديا التأريخية السوفيتية » ، الجزء الثالث ، موسكو ، ١٩٦٣ .
« تأريخ الدبلوماسية » ، الجزء الثاني ، موسكـو ــ لينينغـراد ، ١٩٤٥ .
دانتسيك ب. م. ، العراق بالامس واليوم ، موسكو ، ١٩٦٠ .
« العراق المعاصر » ، مجموعة من المستشرقين ، موسكو ، ١٩٦٦ .
فيلجينكه ا.ف.، الدكتور، نضال شعوب العراق من أجل الاستقلال

والتقدم الاجتماعي (١٩١٧ ـ ١٩٥٨)، رسالة باللغة الروسية لنيل شهادة الدكتوراه ، موسكو ، ١٩٦٧ ٠
كاتلوف ل٠ ن٠ ، الدكتور ، انتفاضة ١٩٢٠ الوطنية التحررية في العراق ، موسكو ، ١٩٥٨ ٠
كاتلوف ل٠ ن٠ ، الدكتور ، النضال التحرري الوطني للشعب العراقي قبيل انتفاضة ١٩٢٠ ٠
كورفيج ب٠ ف٠ ، انكلترا ، « تاريخ العالم » ، الجزء الثامن ، موسكو ، ١٩٦١ ٠
كوركو كرياجين ف٠ ا٠ ، حركة التحرر الوطني في المشرق العربي ٠ بلاد ما بين النهرين ، ـ «الشرق الجديد» ، الكتاب الثاني ، موسكو ، ١٩٢٢ ٠
لازاريف م٠ س٠ ، الدكتور ، كردستان والمشكلة الكردية (من تسعينيات القرن التاسع عشر حتى العام ١٩١٧) ، موسكو ، ١٩٦٤ ٠
ليفين ي٠ ، العراق ، موسكو ، ١٩٣٧ ٠
مينتيشاشفيللي ا٠ م٠ ، العراق في سنوات الانتداب البريطاني ، موسكو ، ١٩٦٩ ٠

الجرائد والمجلات

« آفاق عربية » (مجلة) ، بغداد ، العدد ١٢ ، آب ١٩٧٦ ؛ العدد الثالث ، تشرين الثاني ١٩٧٦ ٠
« الاهالي » (جريدة) ، بغداد ، ٢٧ حزيران ١٩٥٢ ٠
« البلاد » (جريدة) ، بغداد ، تموز ١٩٥٥ ٠
« بين النهرين » (مجلة) ، الموصل ، العدد ٢١ ، ١٩٧٨ ٠
« الثقافة » (مجلة) ، بغداد ، العدد الاول ، ١٩٧٨ ٠
« الجمهورية » (جريدة) ، بغداد ، ٦ تشرين الثاني ١٩٧٦ ٠
« روناهي » (مجلة كردية) ، بغداد ، العدد الاول ، ١٩٦٠ ٠
« صدى الاحرار » (جريدة) ، الموصل ، كانون الثاني و اذار و نيسان وتشرين الثاني ١٩٥٣ ٠

« صوت الاتحاد » (مجلة) ، بغداد ، لسان حال اتحاد الادباء التركمان (عربية ـ تركمانية) ، العدد ٢٠ ، ١٩٧٨ .
« طريق الشعب » (جريدة) ، بغداد ، ٢٨ تشرين الثاني ١٩٧٧ .
« العالم العربي »(جريدة) ، بغداد ، ١ و ٢٠ كانون الثاني ١٩٣١ .
« همولير » (مجلة كردية) ، أربيل ، العدد الثاني ، ايلول ١٩٧١ .

((Iraqi Review)), Baghdad, Vol. I, No. 6, July 2, 1959.

((Journal of the Central Asian Society)), London, Vol. IV, Pt. III, 1928.

((The Near East and India)), November 23, 1922; December 7, 1922.

فهرست الاعلام *

(الاشخـاص)

(★) نحيط القارىء الكريم علما بأننا لم نـورد في هـذا الكشـف الاعلام الرئيسة في الكتاب من قبيل « ثورة العشرين » و«الكرد» و«الانكليز» ، وذلك لكثرة تكررها في متن الكتاب وهوامشه ٠ ولقد صنفنا الاعلام التي تبدأ بحرف كردي ضمن أقرب حرف هجاء له وذلك بسبب ظروف مطبعية قاهرة ٠ وأخيراً نذكـر ان حرف (م) يرمز الى المتن وحـرف (هـ) الى الهـامش وحرف (ع) الى (العشيرة) ٠

الاماكن

جدول الخطأ والصواب

الخطأ	الصفحة	السطر	الصواب
١٩٢٠	١٢	١٨	١٩٧٨
1943	٢٣	١٨	1953
صعف	٢٥	٩	ضعف
1923	٤٥	٢٠	1924
العدد الثامن	٤٩	١٥	العدد الثاني
امعشرين	١٠١	٥	العشرين
نثمر	١١٦	٧	تثمر
انعكن	١٤١	١١	انعكس
أبناء	١٤٧	٧	أنبـاء

مواضيع الكتاب

الصفحـة

د. کەمال مەزهەر ئەحمەد

دەوری گەلی کـورد لـە «شۆرشی بیستی» عیراقیدا

(بە زمانی عەرەبی)

بەغـدا ، ١٩٧٨



Dr. Kamal M. A.

THE ROLE OF THE KURDISH PEOPLE
IN
THE IRAQI REVOLUTION OF 1920

BAGHDAD, 1978

السعر ٦٠٠ فلس

٥٫٠٠٠ نسخة

تاريخ انتهاء الطبع ١٩٧٩/١/١٥

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٦٥٩ لسنة ١٩٧٨

السعر ٦٠٠ فلس



توزيـع المكتبة الفلسطينية ـ بغـداد



بغـداد ١٩٧٨